المعنى والتأويل في النص القرآني

الأستاذ الدكتور
عواطف كنوش مصطفى التميمي
جامعة البصرة – كلية الآداب

المقدمـــــــة :

حظي التأويل بمجال تداولي واسع قبل أن يقعَد له ويتحول إلى نظرية ولاسيما عند الفقهاء والمتكلمين ، وذلك لارتباطه بالخطاب القرآني المعجز الذي يشتمل على آيات تتفاوت في وضوحها وغموضها وفهم المراد منها على وجه التحقيق فهناك آيات يدرك معناها من ظاهر لفظها وتركيبها دون حاجة الى تأويل في مقابل آيات اخرى تحتاج الى أعمال الفكر والنظر فيها وذلك بصرف معنى الآية عن ظاهر لفظها الى معنى آخر يحتمله السياق بالدليل او القرينة ولعل قضية توجيه النص وصرفه من مدلول ظاهري الى آخر تحتمل دواعي موضوعية قد تكون مجازفة لا تخلو من محاذير قد تنتهي الى اخراج الخطاب من مدلوله وربطه بمدلولات قد تكون صواباً فعملية التأويل التي هي توجيه للنص قد تكون ضرورة ومحاولة جادة لفهم النص ، كما يمكن ان تتخذ مطية لتحريف النص وشحنه بما لا يحتمله من المفاهيم المسبقة التي لا تخدم في شيء قضية الفحص الأمين للنص .

وقد تداخل مصطلح التأويل والشرح والتفسير ولم تكن الفروق واضحة تماماً بين هذه الكلمات الثلاث في المصنفات الادبية واللغوية والقرآنية ، فمرة نجد اختلافاً ومرة نجد ترادفاً ، وقد تتضافر معايير الكلمات الثلاث لصياغة مبادئ وقواعد تعصم من القول في الشريعة بما لا سند له من نقل او عقل او قد تسعى هذه المعايير الى بناء قوانين تأويلية تراعي أوضاع المؤوَل والمؤول له ، ومقتضيات المفسِر والمفسَر له ، ومقتضيات الأحوال ، ومجاري العادات ، واتساق النص وانسجامه ، أي مراعاة السياق والمساق ، ومهما كانت الاختلافات والفروق بين هذه المصطلحات فأنها تؤدي الى توضيح المعنى وانسجام النص ولاسيما النص القرآني فأذا أولَّ أمر او فُسّر على المؤول او المفسر ان لا ينحاز الى رأي دون بينه او يرفض رأياً دون بينة او برهان .

وبيّن البحث ان للتأويل فوائد جمة وغايات جلّى ، إنْ سلك المؤول الطريقة المثلى ، وجعل مرامي القرآن هي المقصودة ، ولم يتجه بتأويله الى تحريف المعاني ، والانحراف عن المقاصد وهذا ما يدفعنا الى القول :

ان عملية التأويل لا بد ان تكون لها دواع وأسباب ذكرت في ثنايا البحث وعلى مَنْ يتصدى لها ان يؤولها ويفسرها بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزول القرآن بناءً على قوله تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) الأعراف / ٥٣ .

وعلى المؤول ان يفهم معاني القرآن فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه وقد ذكر البحث بعض المعاني الداعية للتأويل وبيانها بما يتفق مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته .

وخلص البحث الى ان عملية التأويل عملية توضيح وتبيين للنص القرآني دون جزم او قطع بمراد الله عزّ وعلا .

التأويل والتفسير بين اللغة والاصطلاح :

التأويـــــل لغـــة:

(التأويل مادته همزة وواو ولام – من آل يئول (١)) وقيل أن أصله (من المآل وهو العاقبة والمصير ... والتأويل مشتق من الأول ، والتأويل مصدر أول يؤوّل ، وقيل انه مشتق من آل يئول أولاً ومآلا: أي عاد ورجع ويقال أول الكلام تأويلاً وتأولّه دبره وقدّره وفسرّه) (٢) ويقال (آل الرعية يؤولها ايالة حسنة ، وهو حسن الايالة أي حسن السياسة) (٣) فكأن المؤوّل للكلام يسوس الكلام بدراية كما قال تعالى (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) الأعراف / ٥٣ أي تكشف عاقبته ، ويقال آل الأمر إلى كذا – أي صار إليه قال تعالى : (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) الكهف / ٨٢ وقد أولته فآل – أي صرفته فانصرف – فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني (فكأن المؤوّل للكلام يسوي الكلام ويضع المعنى منه موضعه) (٤) ولهذا قيل أن التأويل جمع معان مشكلة بلفظ واحد لا إشكال فيه (٥) وهذا التعريف يقترب من معناه الاصطلاحي الذي اختلف المفسرون فيه ، قال ابن الأثير (التأويل نقل ظاهر اللفظ عن موضعه الأصلي إلى ما تحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ) (٦) فهو تفسير باطن اللفظ (٧) وصرف اللفظ إلى ما يئول إليه والمؤول مستنبط (٨) وهذا يعني صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله موافقاً للكتاب والسنة (٩) .

ومع التسليم بالتأويل فأن العلماء المسلمين ليسوا على اتفاق على انه صرف اللفظ من معناه المتبادر إلى معنى آخر فلقد فهمه المفسرون على انه مجرد ذهاب بالنص الى دلالته البعيدة التي قد لا يقع عليها النظر العادي (١٠) ومثاله تأويل ابن عباس في قوله تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) النصر / ١ – ٣ على انه يتضمن نصاً للنبي (ص) والإشارة إلى نهاية رسالته اعتماداً منه على أن النص ختم بدعوة إلى الاستغفار ، والاستغفار مدعو إليه في نهاية الأعمال وخواتمها (١١) وقد كان لبعض الأحاديث النبوية الشريفة دور في لفت الأنظار إلى الخطاب القرآني من جهة احتماله لعدة وجوه فقد ورد عن الرسول (ص) انه قال : (انزل القرآن على سبعة أحرف ، لكل آية منها ظهر وبطن وقال : القرآن ذلول ذو وجوه محتملة فاحملوه على أحسن وجوهه) (١٢) معنى ذلك ان طبيعة الخطاب القرآني بما هو خطاب لغوي ذو خاصية في التراكيب والمعنى تفرضان على متلقيه ودارسيه نوعاً من القراءة الدقيقة المتأنية ولاسيما تلك الآيات المتشابهات في قوله عز وعلا **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾** آل عمران / ٧ فالتأويل جمع لمعان ألفاظ أشكلت وتشابهت بلفظ واضح لا إشكال فيه ، ولا نقول أن التأويل في فهم النص القرآني يخضع لمنطق العقل ومنطق الإحساس وينظر اليهما بوصفهما حكماً في فهم الكلام الآلهي وتقضي إلى أن يفسر كلام الله على حسب إدراكه وميزان عقله مما يؤدي إلى تحريف النص القرآني عن موضعه ، إن فهم القرآن وتأويل آيه ليس فقط في عهدة البشر وما عرفوه فكثير من النصوص القرآنية خارقة (أو كان في النصوص وفي ملابسات الحادث ما يوحي بأنها جرت خارقة) [١٣] فالعقل متلق وليس حاكماً على الدين (إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة (...) وان هذه الرسالة تخاطب العقل بمعنى انها توقظه وتوجهه وتقيم له منهج النظر الصحيح لا بمعنى انه هو الذي يحكم بصحتها أو بطلانها وبقبولها أو رفضها (...) ومتى ثبت النص كما هو الحكم ، كان على العقل البشري أن يقبله ويطيعه وينفذه سواء كان مدلوله مألوفاً له أو غريبا عليه) [١٤] وهذا يعني أن للتأويل ضوابط تحكم المؤول بتأويله للنص القرآني لا أن يفسر النص ويأوله على حسب هواه وعلمه .

وما ورد من معاني التأويل انه يعني الوصول إلى المعنى بعد بيان الوجوه وتعددها ويكثر التأويل في المواضع التي يخرج بها عن القاعدة أو يتجاوز جادة الصواب وذكر السيوطي(أن التأويل يؤتى به إذا تجاوزنا القواعد والأصول يقول : قال أبو حيان : (التأويل إنما يسوغ إذا كان الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول ، أما إذا كان لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلا بها فلا تأويل) [١٥] .

ومن التأويل ما هو صحيح وفاسد ، قال ابن القيم ت ٧٥١ هـ : (وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ، هو التأويل الصحيح وغيره الفاسد) [١٦] وقسمه الراغب الأصفهاني ت ٤٢٥ هـ على قسمين مستكره ومنقاد، فالمستكره ما يستبشع إذا سير بالحجة ، والمنقاد من التأويل ما لا يعرض فيه البشاعة المتقدمة وقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين في العلم لإحدى جهات ثلاث ، اما لاشتراك في اللفظ نحو قوله تعالى : **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾** الإنعام / ١٠٣ هل هو من بصر العين ، أم من بصر القلب ، أو لأمر راجع إلى النظم نحو قوله تعالى : **﴿وَأُولَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ(٤)إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾** النور / ٤ – ٥ هل هذا الاستثناء مقصور على المعطوف أو مردود إليه المعطوف عليه وهما ً . واما لغموض المعنى ووجازة اللفظ نحو قوله تعالى : **﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** البقرة / ٢٢٧ [١٧] فالتأويل المنقاد هو الذي لا يجافي منطق اللغة ولا ينأى عن دلالتها ، أما التأويل المستكره فهو الذي يلوي فيه المؤول النص حتى يوافق هواه ويسير مع رغباته ويدعم مذاهبه واتجاهاته [١٨] ومتى كان اللفظ صالحا ً ، لان تدخله التأويلات فأن ذلك لا يعني تفويض العملية إلى المؤول ليتصرف على وفق مشيئته، بل انه محكوم في ذلك بضوابط حاسمة تتماشى مع تقسيم الأصوليين لأنماط التأويل الثلاثة ، تأويل قريب ، وتأويل بعيد ، وتأويل لعب ، فالتأويل القريب هو كل تأويل قام الداعي على إجرائه وانصرف إلى معنى له وشيجة باللفظ المؤول عنه وهو الذي يحتاج إلى أدنى دليل يرجحه ، وأما التأويل البعيد فهو الذي لا يقوى فيه الدليل على صرف اللفظ عن ظاهره ، وكلما كان المعنى المؤول إليه بعيدا ً استدعى ذلك دليلا ً قويا ً لتأويل اللفظ ، وأما تأويل العبث واللهو فهو كل تأويل لا يستند إلا لمجرد التشهي والتحكم بأن لم يقم دليل على وجوب التأويل وصرف اللفظ الى معنى بعيد لا شاهد على استعمال اللغة له مرادا ً به اللفظ المؤول، وهذا بمنزلة التأويل الفاسد فيرفض وحرصا ً على تجنب

العبث في التأويل وتفادياً لمزالق التأويل الفاسدة فقد اشترط الاصوليون في عملية التأويل شروطاً منها :

١ – وجود مستند يقوي التوجه الى التأويل ولا يكفي احتمال التأويل وان يكون اللفظ ظاهراً فيما صرف عنه محتملاً لما صرف اليه .

٢ – ان يكون اللفظ قابلاً للتأويل فلا يكون مفسراً ولا محكماً .

٣ – ان يكون قابلاً للمعنى المؤول اليه .

٤ – ان يكون القائم بعملية التأويل أهلاً للقيام بهذه العملية التي هي نوع من انواع الاجتهاد في نطاق النص [١٩] .

٥– أن يكون التأويل مبنياً على دليل صحيح يدل على صرف اللفظ عن ظاهره الى معناه الذي أولّ اليه ، والدليل قد يكون قرينة او ظاهراً آخر او قياساً راجحاً ، فان تعددت الاحتمالات وجب المصير الى الترجيح .

التأويل / التفسير / الشرح:

وردت لفظة التأويل في القرآن الكريم وهي تحمل معاني عديدة لما يئول اليه الامر وان كان موافقاً لمدلول اللفظ ومفهومه في الظاهر ، وقد يراد بها تفسير كلام الله وبيان معناه وان كان موافقاً له ، وقد تداخل مصطلح التأويل والتفسير والشرح ولم تكن الفروق واضحة تماماً بين هذه المصطلحات الثلاثة ، فقد يرد التأويل مرادفاً لمعنى التفسير عند اكثر مفسري القرآن الكريم ، نقل عن الخليل ت ١٧٥ هـ أن التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه وفي قوله تعالى : **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾** الأعراف / ٥٣ . قيل هل ينظرون الى بيانه ومعانيه وتفسيره [٢٠] وقال ابن قتيبة ت ٢٧٥ هـ أي هل ينتظرون الا عاقبته، يريد ما وعدهم الله من أنه كائن (يوم يأتي تاويله في القيامة)[٢١] وقال ابن تيمية ت (٧٢٩ هـ) التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره ام لم يوافقه[٢٢] وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم . وقد ظهر مما تقدم ان التفسير والتأويل مترادفان ، فكل تفسير تأويل ، وكل تأويل تفسير لان التفسير يشرح القرآن بوصفه كلاماً ذا معنى : فيشرح معانيه ، ويفصل القول في مدلولاته ومقاصده ، كما في قوله تعالى : **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾** البقرة / ٢ أي لا شك فيه وأصله من

الفسْر وهو البيان يقال فسرْت الشيء (مخففا) أفــْسِر (بالكسر) فــَسْرا ً ، والتأويــل بيان المعنى كقوله : لا شك فيه عند المؤمنين [٢٣] .

فالتأويل يراد به تفسير الكلام وبيان معناه ويراد به (صرف اللفظ من الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك) [٢٤] . والتفسير ناتج ثقافي ، قائم على الممكن والنسبي وحاصل في الافهام على مقدار اختلافها وتفاوتها ، ولانه كــذلك ، فهــو رهن بشروط تأريخية وزمانية ، وبظروف ذاتية وانسانية بحته [٢٥] وكذا التأويــل فهــو تفسير معنى اللفظ واستيعاب ما يؤول اليه مفهوم الآية او السورة وما يتجســد بــه مــن صور. ففي قوله تعالى : **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيــدِ﴾** الانفــال / ٥١ جاء في تفسير النحاس معنى الآية (أي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه انما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبــرة في انه يخلق الكفر ثم يعذب عليه ، وانه يجوز ان يعذب من غير ذنب وان يأخــذ بــذنب غيره ، لأن هذا غاية الظلم وقد بالغ عــزّ اسمه في نفي الظلم عن نفسه يقولــه (لــيس بظلام للعبيد) [٢٦] وفسرها ابو حيان بقوله : (ذلك العذاب بسبب كفركم ، وبسبب ان الله لا يظلمكم اذ أنتم مستحقو العذاب ، فتعذيبكم عدل منه) [٢٧] وهذا يعني ان تفسير القــرآن يقع في قلب التواصل اللساني ، فالذي يفسر القرآن هو المفسر – يعد من متلقي القرآن – وهو عنصر متضمن في الخطاب نفسه ولهذا تعامل المفسرون مع النص القرآني حســب مقدار معارفهم وعلى اختلاف افهامهم واختلاف مستوياتهم وعقائدهم واتجاهاتهم .

ولهذا يكون تفسير النص القرآني بمثابة إعادة إنتاج او تقرير دلالة بما يتناســب وفهم المفسرين لان المتكلم بالنص القرآني هو الله وهو المطلق دلالــة ، والكامــل لغــة ومعنى . وما أن يغادر النص مرسله حتى يأخذ طابعا ً غير الطابع الذي هو عليــه مــع مرسله في تمامه المطلق ولهذا نجد من المفسرين من يتجه اتجاها ً سلبيا ً فيكتفــي ببيــان المعنى الحرفي للنص القرآني ومنهم من يتجه اتجاها ً إيجابيا ً فيحــول فهمــه للخطــاب القرآني الى تفسير او تأويل ولهذا يكون التفسير أو التأويل كلاما على الكلام الأصل .

فالمفسر أو المؤول في إعادة إنتاجه للنص القرآني تفسيرا ً أو تأويلا ً (إنما من نقصه ينهل لا من تمام الخطاب ، وانه سيبقى دون تمامه ناقصا ً ولذا فأن صورة الخطاب الأصل ستكون في إدراكه لها سبرا ً وفهما ً ومعايشة ، على مثاله نقصا ً لا علــى مثــال

مرسله تماماً وكمالاً) [٢٨] ففي تفسير الآيتين في قوله تعالى : **﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** الأنعام / ٩٩ ، وقوله تعالى **﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** الإنعام / ١٤١ ذهب اكثر المفسرين الى ان (مشتبهاً وغير متشابه ، ومتشابه وغير متشابه ، معناهما واحد من الثمار وخص بالذكر منها الزيتون والرمان لقربهما منهم ومكانهما عندهم – متشابه في الشكل ومختلف في المذاق إلا أن الفعل (اشتبه) غالباً ما يفيد الالتباس والإشكال والأمور المشتبهة تحتاج الى زيادة نظر لإدراك حقيقة أمرها فوضع مشتبها في السياق الدال على قدرته وآياته في موضع الأمر بالنظر (انظروا الى ثمره) دون الموضع الآخر) [٢٩] وذلك لان معنى الآية الأولى يتحدد ببيان قدرة الله سبحانه ، أما الآية الثانية فمعناها هو ذكر الأطعمة وبيان ما حلل منها وما حرم ، فضلاً عن ذلك نلاحظ ان استبدال الصيغتين جاء مناسباً لما ورد من أفعال في آخر الآية فـ (مشتبهاً) مختصة بالشجر أي شجر الزيتون والرمان وأريد بهما ما سبق الثمر [٣٠] بدلالة قوله تعالى : (وانظروا الى ثمره) اما (متشابه) فمختصة بثمار الشجر وجناه المتحصل بدلالة قوله تعالى (كلوا من ثمره اذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده) والأمر بالأكل يقع على الثمار وليس على الشجر نفسه فأضفت تاء الافتعال في (متفاعل) على الفعل الحركة المطاوعة ، وهذا مناسب للتجدد في نتاج الثمار وفي تعاقب مراحل نضجها وقطفها ثم أكلها أو بيعها من جانب ، ولطبيعة السياق المتضمن لمجموعة الأفعال الدالة على الحركة والتجدد من جانب آخر .

وهكذا نلاحظ ان التفسير يختلف من مفسر الى آخر فقد يتماثل تفسيران أو أكثر فيما يختص بتغاير الدلالة بين المفسرين من جهة وبينهم وبين ما أراده الله سبحانه وتعالى: بمعنى أن معنى الآية القرآنية يمكن تقسيمه على قسمين ، قسم نجد فيه معاني حقيقية ، والقسم الثاني معاني إضافية ، فالحقيقة تكون تابعة لقصد الله وأموره الغيبية في حين الإضافية تكون تابعة لفهم المفسرين وتأويلاتهم وعقائدهم وهذه المعاني الإضافية تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين وجهات نظر المفسرين والمؤولين ، ولهذا يلتقي التأويل مع التفسير في اوجه عديدة ، علماً انهما يقومان شاهدين على وجود مسافة لغوية بين الخطاب القرآني وخطاب التفسير نفسه (وانه لمن المحال اختصار هذه المسافة

الى درجة يمكن فيها للتطابق أن يأخذ سبيله إليهما ، وبهذا يصبح الخطاب الأول لغة مغايرة في الخطاب الثاني ، كما يصبح الثاني لغة متغيرة أزاء الأول .. ومن هنا ينتفي عن التفسير تمامه ويبدو محتاجاً الى تغيره في كل عصر لتقلص الدلالة فيه ، ذلك لان الخطاب الأول سيبدو قد تجاوزه تأريخياً ، وتقدمه في الزمن الآتي ، وان مثل هذه السيرورة تؤكد أمرين :

١ – تؤكد على ديمومة الحضور القرآني بوصفه نصاً ونسقاً ، ومنتجاً ثقافياً .

٢ – كما تؤكد على انتساب هذا الخطاب الى قائله تماماً وكمالاً [٣١] ولهذ يبقى النص القرآني بيد المفسرين والمؤولين يتروح بين نسبية المعنى ومطلقه .

ولهذا قيل التفسير (بيان وضع اللفظ اما حقيقة أو مجازاً والتأويل تفسير باطن اللفظ) [٣٢] وهذه نقطة تميز بين التفسير والتأويل فالتأويل صالح لكل كلام له معنى ظاهر فيعمل على غير ذلك المعنى أما التفسير فهو أعم من التأويل لانه يبين مدلول اللفظ مطلقاً (فالتفسير أعم من التأويل ويذكر ان اكثر استعمال التفسير في الألفاظ واكثر استعمال التأويل في المعاني وأن اكثر استعمال التأويل في الكتب الآلهية أما التفسير ففي غيرها) [٣٣] والتفسير يبين مدلول الألفاظ اعتماداً على دليل شرعي في حين التأويل يتوصل الى المعنى اعتماداً على دليل عقلي . وهذا يعني ان المفسر ربما تكون أحكامه قطعية في حين المؤول تكون أحكامه ترجيحية . وقد يشمل التفسير التأويل في بعض الاحيان لان التفسير (قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها ، وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها قال تعالى: ﴿**وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾ (الفرقان / ٣٣) [٣٤] . ومن هذا المنطلق درسنا التأويل ، الا أن لفظة التفسير عند رجالات الفقه والحديث [*] استقر منذ وقت مبكر كمصطلح خاص بفهم الكتاب المقدس وكشف ما غمض من آيه (وقد نظر اكثر المفسرين للتأويل على أنه فهم النص عن طريق الإشارة في مقابل التفسير الذي هو فهم بطريق العبارة أو انه تفسير عن طريق الدراية في مقابل التفسير الذي هو فهم عن طريق الرواية) [٣٥] . وأخذ التأويل عند المفسرين معنيين هما العاقبة او المرجع في قوله تعالى (**هل ينظرون الا تأويله**) الأعراف/٥٣ أي عاقبته ، وقال الطبري " هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه الا تأويله أي الا ما يؤول اليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه وأشباه هذا

مما اوعدهم الله به " [٣٦] والمعنى الثاني تعبير الرؤيا في قوله تعالى (ويعلمك من تأويل الاحاديث) المراد منه تعبير الرؤيا ، سماه تأويلاً لانه يؤول أمره الى ما رآه في المنام يعني تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم [٣٧] ولعل مفسري القرآن الكريم وعلماء الكلام من بعدهم هم الذين حرصوا على التدقيق في استعمال لفظ التأويل في مجال معين يتصل بالباطن على نحو ما (فأخذ التأويل عندهم معنى التقدير والتدبر وعدم الاكتفاء بما يقتضيه ظاهر العبارة ، وذلك اعتماداً على مدلول هذا اللفظ في القرآن الكريم لأنه المصدر الأول للمفسرين) [٣٨] .

ففي القرآن الكريم لا نجد التأويل الا في سياق باطن خفي كقوله تعالى : **﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾** يوسف / ٦ وقوله : **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾** يوسف / ٢١ وقوله : **﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾** يوسف / ١٠٠ وقوله : **﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾** يوسف / ١٠١ . وورد كذلك في سورة الكهف : **﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** الكهف / ٧٨ وفي سورة آل عمران **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾** أية / ٧ وفي غيرها من السور لا نجد لفظ التأويل يخرج من هذا السياق الذي يتصل بما هو باطن خفي، ومن هنا شاع لفظ التأويل في كتابات رجال العقائد والمتصوفة لأن تفسيرهم للنصوص لا يكون ابتدائياً في معظم الأحوال ، بل مبنياً على ما يعتقدونه من نظريات وأفكار ويحاولون دائماً جعل النص يسير في ركابها ، ومن هنا أيضاً شاع لفظ التأويل في النقد الحديث للدلالة على فهم النص الأدبي بالنظر الى ان النقد الحديث لا يزعم انفراده وحده بهذا الفهم ، بل يقر بتعدديته وتنوعه بحسب المناهج والوسائل الموصلة الى هذه الغاية وهي كثيرة وطاقاتها الإبداعية غير محدودة .

أما السؤال لماذا أنفرد الشرح بالمجال الأدبي دون غيره بالرغم من الآصرة التي تجمعه بالتفسير والتأويل ، بمعنى لماذا كانت العملية المتصلة بفهم النص الادبي وتحليل مضمونه والكشف عن مسالكه شرحاً ولم تكن تفسيراً ولا تأويلاً عند جمهور الشراح المتعاقبين" اعتقد ان في الاصل اللغوي ما يساعد على توجيه البحث في الموضوع فالمعنى المادي للشرح والتشريح : هو قطع اللحم عن العضو او عن العظم ويقال ايضاً شرحت الجواهر إذا فتحت" [٣٩] واستعمال الشرح في القرآن الكريم يلتقي مع هذا المعنى

المادي في تهيؤ الشيء للإفادة منه ففي سورة الأنعام قال تعالى : ﴿**فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ**﴾ أية / ١٢٥ فشرحه بمعنى وسعه لقبول الحق فاتسع كما ذكر ابن منظور في هذا السياق جرت سائر استعمالات الشرح في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ طه / ٢٥ و ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ الشرح / ١ ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾ الزمر / ٢٢ ﴿**وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ**﴾ النحل / ١٠٦ [٤٠] . (ومن الثابت تأريخياً ان مصطلح " التأويل " كان هو المصطلح السائد والمستخدم دون حساسية للدلالة على شرح وتفسير القرآن الكريم في حين كان مصطلح التفسير أقل تداولاً ، لكن مصطلح (التأويل) بدأ يتراجع بالتدريج ، ويفقد دلالته المحايدة ، ويكتسب دلالة سلبية وذلك في سياق عمليات التطور والنمو الاجتماعيين وما يصاحبهما عادة من صراع فكري وسياسي) [٤١] . حتى ساد الشرح والتفسير بدلاً من التأويل الى القرن الرابع الهجري نجد استعمال هذه المصطلحات بشكل واسع وبشكل متبادل مثلاً ابن جني اطلق على كتابه " شرح ديوان المتنبي " بـ (الفسر) أما أول كتاب كبير في شرح القرآن هو كتاب محمد بن جرير الطبري الذي ضم داخله كل ما سبقه في مجال شرح النص القرآني ، فقد أطلق عليه اسم " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " وهو يبدأ كل آية بالشرح قائلاً وتأويل قوله تعالى كذا ... الخ .

وهكذا تتضح حاجة التفسير الى الشرح والتأويل ومثله حاجة التأويل وحاجة الشرح ذلك لان" التفسير هو شرح معاني الكلمات المفردة في حين أن التأويل هو استنباط دلالة التراكيب بما تتضمنه من حذف وإضمار وتقديم وتأخير وكناية واستعارة ومجاز ... الخ واذا وصلنا الى القرن العاشر نجد ان السيوطي ساوى بين التفسير والتأويل بقوله : " وأن أولهما بمثابة تمديد للثاني والثاني ضروري له " [٤٢] وما دام التفسير في اصل استعماله يعني البيان والوضوح كما في قوله تعالى : ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ الفرقان / ٣٣ بمعنى وافضل بياناً ووضوحاً .

وهكذا استعلمت لفظة التأويل (في هذا البحث) ، للتفسير ، والتعيين ، والشرح، والتوضيح ، والتوجيه ، والنقل ، وما يئول اليه الأمر ، والبيان ، والعلم كما يسعى التأويل للغوص في المعنى حتى يصل الى افضل تفسير .

الأسباب الموجبة للتأويل / والحاجة إليه:

قال الراغب الأصفهاني : " أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن وتأويله، وذلك ان الصناعات إنما تَشْرُف بأحد ثلاثة أشياء : أما بشرف موضوعها(*) ، " - - - " واما بشرف صورها (**) ، " - - - - " واما بشرف غرضها (***) وكمالها ... ، فإذا ثبت ذلك فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من جهاتها الثلاثة ، وهو ان موضوع المفسر كلام الله تعالى ، الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، وصورة فعله :- إظهار خفيات كل ما أودعه منزله من أسراره ، ليدبروا آياته وليذكر أولو الألباب ، وغرضه : التمسك بالعروة الوثقى ، التي لا إنفصام لها ، والوصول الى السعادة الحقيقية، التي لا فناء لها ولهذا أعظم الله محلّه ، بقوله تعالى :﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ البقرة / ٢٦٩ قيل : هو تفسير القرآن(٤٣) وتأويله أي تجسيد معنى القرآن في صورة ذهنية معينة .

ان دراسة النص القرآني وتأويله من خلال تلك الصناعات ممكن ان يكون هادياً لصقل مزيد من آليات الاجتهاد التي تعد عملية تشارك فيها كل العصور سعياً لإتمام نور الله سبحانه وتعالى بإبراز الدلالات الكامنة في كلامه عزّ وعلا .

وقد يختلف المفسرون في تفسير الآيات القرآنية وتأويلها وذلك لاسباب يمكن أن نعدها باكورة الأسباب الموجبة للتأويل والداعية إليه وهي:

- **وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى** كقوله تعالى في خلق آدم انه ﴿**مِنْ تُرَابٍ**﴾ آل عمران/ ٥٩ ومرة ﴿**مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾ الحجر/ ٢٦/ ٢٨/ ١٣٣ ومرة ﴿**مِنْ طِينٍ لَازِبٍ**﴾ الصافات /١١ ومرة ﴿**مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾ الرحمن /١٤ وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة ، لان الصلصال غير الحمأ ، والحمأ غير التراب الا ان مرجعها كلها الى جوهر وهو التراب ، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال " (٤٤) وان الباحث في دقائق الأمور يجد اختلافاً او فروقاً دلالية بين هذه الأحوال فيؤول الكلام تأويلات مختلفة او مترادفة ومنه قوله تعالى﴿**فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ**﴾ الشعراء /٣٢ وفي سورة أخرى ﴿**تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ**﴾ القصص/٣١ والجان الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها، وذلك لان خلقها خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته "(٤٥) فإذا اختلفت الأحوال وكان مرجعها الى أمر واحد لم يوجب ذلك اختلافاً بل تأويلاً .

ومنها ما يكون الموضوع واحداً في آيات متعددة في سور مختلفة وتكون تلك الآيات متعددة في أماكنها من القرآن ، موزعة في سوره " وهي في تعددها وتفرقها متحدة الموضوع مشتركة في نوعية البحث ، لكن النظم القرآني وفقاً للترتيب الإلهي استوجب توزيعها لذكرها في مناسباتها ، واستلزم تفريقها حتى تطلب عند الحاجة إليها ، وعند وجود الدافع الى استخراجها وذكرها ، من ذلك على سبيل المثال ما يتعلق بموضوعات الخمر ، والجهاد في سبيل الله ، والدعوة إلى الله ، وايضاً الزواج والطلاق ، وقصص الأنبياء " [٤٦] إلا ان هذا الموضوع الواحد يختلف في دلالته ومعناه من سياق الى سياق ، فالمعنى لا يكون متجلياً إلا بمعرفة السياق ، ومعرفة أحوال البشر ، وأسباب النزول وان يكون المؤول متابعاً لالفاظ القرآن وجمله والكشف عما عساه ان يكون غامضاً في تلك الموضوعات كي لا ينحرف عن مواضعه الاصلية مثل موضوع الخمر وروده في آيات عديدة تابعة لسور شتى موضوعها واحد ودلالتها مختلفة مثل قوله تعالى **﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾** النحل /٦٧ هذه الآية مكية لها ما يتعلق بها من الآيات المدنية في قوله تعالى **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾** البقرة / ٢١٩ وقوله تعالى **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**المائدة /٩٠ ان تشابه الموضوع واختلاف دلالته مدعاة للتأويل وعلى المؤول أن يفرق في دلالة الآيات بالرغم من وحدة الموضوع .

- **قد يكون سبب التأويل اختلاف الموضوع** كقوله تعالى **﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾** الصافات /٢٤ وقوله تعالى **﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾** الأعراف /٦ مع قوله تعالى **﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾** الرحمن /٣٩ .

ان موضوع السؤال في كل آية مختلف فتحتمل الآية الأولى السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل ، والثانية على ما يستلزم الإقرار بالثوابت من شرائع الدين وفروعه وحمله بعض المفسرين على اختلاف الأماكن ، لان في القيامة مواقف كثيرة فموضع يسأل ويناقش ، وموضع آخر يرحم ويلطف به ، وموضع آخر يعنف ويوبخ – وهم الكفار– وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون [٤٧] بيد ان المفسر للقرآن الكريم على هذا النهج ، تارة يكون متمهلاً ممعناً وتارة يكون مسرعاً متعجلاً مجملاً ، فيقع التأويل ولابد

للمؤول من العلم بأن الآيات المتفرقة في سوره والمنتشرة في أنحائه لها ما يستوجب التفرق للآيات ذات الموضوع الواحد وله ما يكون معرفته من اسباب النزول وسياق الحال كالآيات التي تتعلق او توضح التدرج في التشريع ، كما في قضية الرّبا في قوله تعالى **﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ ربًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾** الروم /٣٩ ثم قوله عز وجل **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** آل عمران /١٣٠ ثم قوله سبحانه **﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾** البقرة /٢٧٩ [٤٨] .

فعلى المؤول لهذه الموضوعات ان يفهم المقصود من المعنى الذي لا يكون متجلياً الا بمعرفة تعلق الألفاظ بسابقاتها ولاحقاتها ويعرف إجمالها وبسطها وإيجازها وتفصيلها ، حتى لا يختلط عليه معنى ولا تضطرب عليه دلالة وان يفسر الكلام بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وان يكون متفقهاً في الدين وهذا الذي دعا به النبي (ﷺ) لابن عباس حيث قال : " اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل " [٤٩] وهذا يعني ان التأويل عملية يقوم بها المؤول على حسب ما وصل اليه عقله وأدّاه اليه نظره . فيقع الاحتمال في تفسيره وتأويله ففي قوله تعالى **﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾** آل عمران /١٠٢ مع قوله تعالى **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾** التغابن /١٦ يحكى عن الشيخ العارف[*] انه جمع بينهما فحمل الآية الأولى على التوحيد ، والثانية على الأعمال والمقام يقتضي ذلك ، لانه قال بعد الأولى **﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** آل عمران / ١٠٢ وقيل بل الثانية ناسخة . قال ابن المنيَّر : الظاهر ان قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) إنما نسخ حكمه لافضله واجره ، وقد فسر النبي محمد (ﷺ) " حق تقاته " بان قال : هو ان يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، فقالوا : أينا يطبق ذلك ؟ فنزلت (فاتقوا الله ما استطعتم) وكان التكليف أولاً باستيعاب العمر بالعبادة بلا فترة ولا نعاس ، كما كانت الصلاة خمسين ، ثم صارت بحسب الاستطاعة خمساً ، والاقتدار منزّل على هذا الاعتبار ولم ينحط عن درجاته [٥٠] .

- **وقد يساعد النص نفسه على التأويل لانه يحمل وجوه فهم كثيرة** فضلاً عن تفاوت العقليات وتباين القدرات واختلاف القابليات ومرد هذا الى " اختلاف دلالات الألفاظ عند خفاء القرينة " [٥١] كما في قوله تعالى **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ**

الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء /٨٣ .

قال أبو جعفر وأبو علي والجبائي في معنى أولي الأمر : " هم أمراء السرايا والولاة " وقال الحسن وقتادة وغيرهم : أنهم أهل العلم والفقه الملازمون للنبي (ﷺ) لو سألوه عن حقيقة ما أرجفوا به لعلموه ، واختاره الزجاج ، وأنكر ابو علي الجبائي هذا الوجه وقال " وانما يطلق أولو الأمر على من له الأمر على الناس " [٥٢] ، ولكون (أولي الأمر) تحمل وجوهاً عديدة في فهمها كانت مدعاة للوصول الى ما آلت إليه الآية والوصول إلى معناها عن طريق التأويل فمثلاً قوله تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** الأنبياء / ٧قال احد الباحثين: " هنا يجب أن نفهم ان أهل الذكر هم أهل اللسان العربي " [٥٣] وقيل ان الله سبحانه وتعالى يقول للمشركين الذين لا يؤمنون برسالة محمد (ﷺ) " فان حصل شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين (فاسألوا أهل الذكر) من الكتب السالفة كأهل التوراة والإنجيل يخبروكم بما عندهم من العلم ، كلهم بشر من جنس المرسل اليهم ، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم ونهى له أن يتصدى لذلك وفي هذه الآية دليل على ان النساء ليس منهن نبيّة لا مريم ولا غيرها لقوله رجالاً " [٥٤] .

وقد يكون المعنى الظاهري من الآية ، هو المعنى المراد في هذه الآية وهذا ما يبعدهم عن المعنى الحقيقي لها اذ ظهر من الآية ان المقصود بأهل الذكر هم العلماء ولكثرة ترداد هذه الآية صارت مثلاً يضرب بها ، بأن أهل الذكر هم العلماء ، وهذا المعنى يذهب بمقاصد بعض آيات القرآن فتكون هذه الآيات مدعاة لتأويلات عديدة فيبعدهم عن القصد من أهل الذكر الذين هم في هذه الآية أهل الكتاب من اليهود والنصارى كما جاء في كتب التفسير وكما يدل عليه سبب نزول الآية ، فالأول يتمثل في سبب النزول الذي ذكر فيه ان مشركي مكة أنكروا نبوة محمد " وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فهلا بعث إلينا مَلَكاً [٥٥] وكان من سنة الله ان لا يبعث إلى عباده رسلاً إلا من جنسهم وهذا يستوجب على المفسرين أن يراعوا سياق حال الآية وأسباب نزولها ومراعاة سياقها اللغوي في السورة ثانياً.

• **وقد يكون اختلاف المعنى في آيتين متباعدتين في سورة واحدة مدعاة للتأويل** وذلك لان اللفظ يحمل وجوه فهم للنفي والإثبات كما في قوله تعالى **﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾** النساء / ٣ مع قوله في أواخر السورة **﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾** النساء / ١٢٩ فالأولى تفهم إمكان العدل ، والثانية تنفيه .

والجواب ان المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن ، وهذا يمكن الوقوع وعدمه ، والمراد به في الثانية الميل القلبي ، فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض ، وقد كان (ﷺ) يقسم بين نسائه ثم يقول : " اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك " يعني ميل القلب وكان عمر (رضي الله عنه) يقول : " اللهم قلبي فلا أملكه ، وأما ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل " ويمكن ان يكون المراد بالعدل في الثانية العدل التام ، أشار اليه ابن عطية [٥٦] : وقد يحتاج الاختلاف إلى تأويل فيرتفع به الإشكال .

• **وفي مواقع كثيرة يكون اللفظ الواحد مدعاة للتأويل** كما في قوله **تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(١١)وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ(١٢)إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ(١٣)وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾** الطارق ١١-١٤ ذكر المفسرون أن الرجع هو المطر أو الغيث ، بل ذهب بعضهم إلى بيان سر تسميته بالرجع فقال الشوكاني مثلاً : " ان العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض [٥٧] وقال ابن عباس : هو السحاب يرجع المطر ، أما الصدع ففيه إشارة إلى تصدع الأرض وتشققها عند خروج النبات منها ولذلك نجد بعض المفسرين يفسره بالنبات ، فالصدع هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات وأصله الشق سمي به النبات مجازاً لانه يصدع الأرض فتتصدع به وكأنه قبل والأرض ذات النبات الصادع للأرض [٥٨] فإذا أخذنا هذه الألفاظ بدلالتها التأويلية تظل تعبيراً استعارياً مرتبطاً بالعطاء الذي تعززه السماء على البشر .

ومثله قوله تعالى **﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾** البقرة / ١٢٥ ذهب أكثر المفسرين أن الطائفين هم الدائرون حول البيت والعاكفين هم المجاورون للبيت ، وقال سعيد بن جبير : ان الطائفين هم الطارئون على مكة من الآفاق ، والعاكفين هم المقيمون فيها ، وقال ابن عباس : العاكفون المصلون ، والأول أصح لانه المفهوم من إطلاق اللفظ ، ومثلها قوله تعالى (والركع السجود) .. قيل هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون (عن

قتادة) وقيل هم جميع المسلمين لانه من شأن المسلمين الركوع والسجود (عن الحسن) وقال عطاء : إذا طاف به فهو من الطائفين ، وإذا جلس فهو من العاكفين ، وإذا صلى فهو من الركع السجود وقال رسول الله (ﷺ) : ان لله عز وجل في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ، ستون منها للطائفين ، وأربعون للعاكفين ، وعشرون للناظرين [٥٩] وفي قوله تعالى (**وإذا القبور بعثرت**) الانفطار/٤ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال يقول : بحثرت وتأوله الفراء على ان الأرض بحثرت فألقت ما فيها من الكنوز والموتى واحتج بالحديث " تلقي الأرض أفلاذ كبدها " [٦٠] وقال أبو جعفر " وهذا غلط وليس في القرآن وإذا الأرض، وفيه خصوص القبور " وتلقى أفلاذ كبدها " لا اختلاف بين أهل العلم انه في آخر الزمان وليس هو يوم القيامة " [٦١] .

وفي قوله تعالى ﴿**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ البلد / ٨ ، ٩ ، ١٠ .

لاحظ أحد المفسرين " كيف ذكر الله الأعضاء فبدأ بالعينين ثم تلا ذلك اللسان والشفتين ولم يقل بصراً ولساناً او بصراً وشفتين ، وهنا تأتي النتيجة المباشرة بأن النجدين هما أعضاء ، وهذا بمعنى الثديين ، يدلك على هذا وضع النجوم بين الآيات الثلاث ، اذ لم يضعها في آية واحدة لتبيان اختلاف الوظائف لهذه الأعضاء " [٦٢] .

وقد يدعم تأويل الآية قضية نحوية وهنا يوضح لنا المفسرون ان الواو واو عطف وموضوعها عطف الموصوفات ، فإذا صحت واو العطف ، فإنها تكون بين قوله تعالى " ألم نجعل له عينين ، ونجعل له لساناً ، ونجعل له شفتين " وقيل ان هذه نعم الدنيا فهي للجمال والبصر والنطق وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها " [٦٣] .

أما في قوله تعالى (وهديناه النجدين) فان الواو هنا واو إبتداء خرجت من واو العطف وقيل أنها نعم الدين " أي طريق الخير والشر ، بيّنا له الهدى من الضلال، والرشد من العي " [٦٤] .

ان اختلاف الأداة يعني ان التفسير دخل مجال التأويل أي ما يئول الامر اليه ، وهذا التأويل يظهر ان كل آية من آيات السور القرآنية تعرض بحسب سابق السورة ومقتضى حال النزول في أماكنها المستشهد بها .

- **وقد يكون المعنى النحوي مدعاة للتأويل** ولاسيما في الآيات التي تؤكد دلالة الحسي على المعنوي . نحو قوله تعالى ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(٧٥)وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(٧٦)إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ(٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ الواقعة / ٧٥-٧٩ .

أجمع المفسرون على أن " لا أقسم " (*) معناها أقسم بمواقع النجوم واختلفوا في تفسير (لا) وأولوها على الوجوه الآتية :

(١) قال بعضهم إنها زائدة

(٢) ان معناها رد على كلام سابق مكانه ، قيل : لا ليس الأمر كما ذكرتم ، ثم استأنف بـ (أقسم)

(٣) إنها تنفي ما ينبئ عنه القسم من تعظيم المقسم به وتفخيمه لان المقسم به حقيق بإعظامه أكثر من ذلك ، وهذا ما يؤكده الوجه الرابع من إنها تنفي الأقسام لوضوح الأمر (٦٥) ما يئول الأمر إليه من معنى إنها تؤكد القسم لان الله سبحانه وتعالى أقسم بهذه المواقع المعجزة التي كانت من وسائل المعرفة عند القدماء " والعرب تعد المعرفة بمواقع النجوم ومنازلها من أجلّ العلوم ويستدلون بها على الطرقات والأوقات والخصب والجدب " (٦٦) .

أما قوله (ولا يمسه الا المطهرون) فقد ذهب بعض المفسرين إلى ان المراد بالمطهرين هم " المطهرون عن الحدث الأصغر والحدث الأكبر يحمل من الطهارة على الشرعية ، والمعنى لا ينبغي ان يمس القرآن إلا من هو على طهارة من الناس " (٦٧) .

وذهب ابن تيمية الى حرمة مس القرآن على المحدث فقال :" إذا كانت الصحف التي في السماء لا يمسها إلا المطهرون فكذلك التي بأيدينا من القرآن لا ينبغي ان يمسها الا الطاهر " (٦٨) .

وهكذا نجد المفسرين يأولون العبارات والألفاظ على حسب علمهم فالفراء يقول : لا يجد طعمه ونفعه وبركته إلا المطهرون ، وقال الحسين بن الفضل : لا يعرف تفسيره وتأويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق (٦٩) وأول بعض المفسرين معناه بقوله : " ويجوز ان يقال في معناه لا يصل الى أدنى حقائق أسرار القرآن الكريم الا المطهرون من أرجاس الشهوات وأنجاس المخالفات " (٧٠) بمعنى ان معاني القرآن لا تنكشف الا لمن طهر نفسه ونقاها من درن الفساد ، وقد يكون المقصود بها الملائكة ولفظة " المس " ذاتها لا تعني المس المادي بل المس الفكري الذي يشمل من فقهه الله إلى تدبر القرآن أحسن تدبر ولاسيما المجردات والغيبيات وان كان في الآية ما يشير إلى عالم الحس والإدراك ، وهكذا تكون القضايا الغيبة مدعاة للتأويل في القرآن الكريم لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله .

● **كما ان تغاير الأداة النحوية يؤدي الى اختلاف التراكيب فتتعدد التأويلات** كما في قوله تعالى **﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾** البقرة / ٩٤-٩٥ أما في سورة الجمعة فقد حلت (لا) محل (لن) وكلتاهما دالتان على نفي الزمن مع الاختلاف في استعمالها قال تعالى **﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(٦)وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** الجمعة / ٦-٧ .

أوّل الاسكافي الشرط في سورة البقرة بأنه غاية ما يطلبه المطيع ولا مطلوب وراءه ، لذا وجب ان يكون ما يبطل تمني الموت المؤدي الى بطلان شرطهم بصيغة أبلغ في النفي ، أما في سورة الجمعة فان زعمهم انهم أولياء الله مطلوب سيطلبون وراءه – أو صحّ لهم هذا الوصف – دار التواب [٧١] وفرق ابن الزبير بين الاثنين زمنياً أي مجيء كل أداة ومناسبتها للزمن الذي تضمنه السياق فآية البقرة تتعلق بأمر أخروي مستقبل ينفى بـ (لن) لأنها جواب سيفعل ، اما في سورة الجمعة فان زعمهم دنيوي ووصف حالي لا استقبال فيه ، فناسب النفي بـ لا " [٧٢] وعلى هذا الأساس تغايرت الأداة ، ويبدو ان الآيتين أشارتا إلى زمنين هما من صلب اعتقاد اليهود فقد زعموا انهم أولياء الله في الدنيا، فترتب على زعمهم هذا ان الدار الآخرة خالصة لهم ، فهما حدثان تعلق أحدهما بالآخر ، الحدث الأول في الدنيا والحدث الآخر في الآخرة " والابد هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل كما ان الأزل استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي " [٧٣] .

● **ومن الأسباب الداعية للتأويل تعدد الوجوه الإعرابية** ففي قوله تعالى **﴿لَكِنْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾** النساء / ١٦٢ .

قال الكسائي : " موضع (المقيمي) جر وهو معطوف على " ما " من قوله بما أنزل اليك أي وبالمقيمي الصلاة " [٧٤] .

وقال الطبرسي : " اختلف في نصب المقيمين ، فذهب سيبويه والبصريون الى أنه نصب على المدح على تقدير أعني المقيمين الصلاة " [٧٥] وذكر وجوهاً إعرابية أخرى بيّن فيها ميله للبصريين " قال : قال قوم انه معطوف على الهاء والميم من قوله منهم على معنى ، لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة ، وقال آخرون انه معطوف على الكاف في من (قبلك) أي بما انزل من قبلك ومن المقيمين الصلاة ، او معطوف على الكاف في إليك " او الكاف في قبلك [٧٦] ثم عقب على هذه الآراء قائلاً " هذه الأقوال الأخيرة لا تجوز عند البصريين لانه لا يعطف بالظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار [٧٧] وأيد هذا القول العكبري ، في حين رجح القرطبي رأي سيبويه يقوله " وأصحها قول سيبويه بأنه نصب على المدح أي وأعني المقيمين "[٧٩] وقال الطبري : " المقيمون الصلاة ، الملائكة وإقامتهم الصلاة تسبيحهم ربهم واستغفارهم لمن في الأرض "[٧٩] ان اختلافهم في تقدير وجه إعرابي وترجيحهم لرأي دون آخر أدخلهم في دائرة التأويل وذلك لان القاعدة النحوية لم تكن مطلقة ففيها الشاذ وفيها الخارج عن القياس وهي في الأصل قاعدة ناتجة عن استقراء ناقص فكل هذه الأمور مدعاة لعدم استقرار الآراء مما يؤدي إلى التأويل ، كما في قوله تعالى **﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾**هود / ٧٤ ذهب الكسائي والأخفش الى أن يجادلنا في موضع جادلنا [٨٠] ولعل محاولتهم هذه تهدف إلى إثبات قاعدة نحوية وهي ان جواب (لما) يجب ان يكون ماضياً ، لهذا أولوا (يجادلنا) بمعنى جادلنا . وهي سمة رافقت العديد من التراكيب التي تخالف ما وضع من قواعد نحوية ومرد هذه التأويلات ان النحو العربي انطلق تعليمياً وامتدت جذوره إلى أجيال عدة .

ومن اختلاف الوجوه الأعرابية يتأول قوله تعالى **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾** آل عمران/ ٨١ الظاهر ان لام القسم داخلة على اسم مفرد وقد أول المفسرون الوجوه الأعرابية لـ (لما) على النحو الآتي :

(لما) في موضع (ما) لان النحويين اختلفوا في وجوهها الأعرابية على النحو الآتي:

أ – ان تكون موصولة بمعنى الذي – وهي في موضع نصب على المفعول به لفعل واقع في جواب القسم والتقدير والله لتُبلُغَنَّ ما آتيتكم ، لان لام القسم تقع على الفعل ولذلك حذف

الفعل لدلالتها عليه ، وهو قول لا يصح عند السيمن الحلبي [٨١] لانه لا يصح أن يقال والله لزيداً على نية القول والله لتضربن زيداً .

ب – ان تكون (ما) شرطية واللام للتوطئة وقوله (لتؤمنن) جواب القسم والشرط معاً ويجوز أن يكون جواب الشرط محذوفاً ، وقيل ان اللام الموطئة مختصة بـ (إن) والأحسن عند ابن هشام ألا تكون ما شرطية مقترنة باللام الموطئة " وعلى هذا فالأحسن في قوله تعالى (لما أتيكم من كتاب وحكمة) ألا تكون موطئة و (ما) شرطية بل للابتداء و (ما) موصولة لانه حَمْلٌ على الأكثر " [٨٢] والغرض من هذه التأويلات هو الوصول إلى الأصح والأنسب للقاعدة .

● **ومن الأسباب الداعية للتأويل الجواز والجائز** فتأول معظم الشواهد القرآنية ، لان المفسرين لا يتركون وجهاً جائزاً من غير أن يأولوه ، ففي قوله تعالى ﴿ **وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا**﴾ مريم / ١٣–١٤ أجاز ابو البقاء ان يكون (وبرا) منصوباً بفعل مضمر أي وجعلناه براً [٨٣] وقال ابو حيان هذا وجه غير مرفوض [٨٤] وتقدير القاعدة النحوية " فأما أن تموّنوا منّا ً وأما أن تفادوا فداءً " والفعل مضمر وجوباً لانه جاء بعد تفصيل عاقبه" [٨٥] .

وهذا يعني ان التأويل النحوي وسيلة لرد النادر في الاستعمال الى النظام اللغوي واستيعاب ما هو خارج هذا النظام ففي قوله تعالى ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ**﴾ البقرة / ٥٨ جوز الطبرسي في إعراب قوله (حطة) وجهين إعرابيين بقوله الوجه الاول " انما ارتفع على الحكاية " [٨٦] وقال الاخفش في تقدير رفعه أي قولوا : لتكن منك حطة لذنوبنا " [٨٧] وذهب النحاس رفعت حطة على إضمار مبتدأ [٨٨] .

والوجه الأخر بقوله : " ولو جاز قراءته بالنصب لكان وجهه في العربية : حط عنا ذنوبنا ، كما يقال سمعاً وطاعة أي أسمع سمعاً وأطع طاعة ، معاذ الله أي نعوذ بالله معاذاً " [٨٩] .

● **والجواز في القراءات القرآنية مدعاة للتأويل** . ولعل القراءات الخلافية قد تكون سبباً للتأويل النحوي كما في قوله تعالى ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾* القمر /٤٩ . ان لفظة (كل) يصح أن تقع على الابتداء وتكون جملة خلقناه ، وفيها ضمير شغل به الفعل ، على حد تصور النحاة ، وسيبويه في قضية الاشتغال – خبراً لهذا المبتدأ –

والجملة (كل شيء خلقناه بقدر) على هذا التقدير خبر إن ، وضمير الجلالة (نا) اسمها ، ان كلتا القراءتين نحوياً جائزة صحيحة في منظور سيبويه نفسه الذي يقول في باب الاشتغال : " وان قدمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك عربياً جيداً " (*) وذلك قولك : زيداً ضربت ، والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء ، مثله في ضرب زيد عمراً وضرب عمراً زيدٌ ، فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت : زيدٌ ضربته فلزمته الهاء ، وإنما تريد بقولك مبني على الفعل انه في موضع منطلق اذا قلت عبد الله منطلق (أي في موضع الخبر) فهو في موضع الذي بني على الأول (يعني على المبتدأ) وارتفع به ، فإنما قلت عبد الله فنسبته له (أو فنبهته له وهو الاصوب) ثم بنيت عليه الفعل ورفعته " الاسم بالابتداء " (٩٠) وهذا هو المغزى من قول سيبويه " القراءة لا تخالف لان القراءة السنة " ولكون الآية من الآيات الخلافية فان كل فريق يتعلق بتأويل يرجح إحدى القراءتين (النصب ، الرفع) كما في قوله تعالى ﴿**وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ النساء / ٣١ ، قرأ نافع (مَدخلاً) بفتح الميم وضمها الباقون ، فقراءة الضم تفيد ان (مٌدخلاً) اسم مكان من الادخال أي وندخلكم مكاناً كريماً وهو الجنة ، اما فتح الميم فأنه يفيد ان (مَدخلاً) اسم مكان من الدخول أي ندخلكم فتدخلون مكاناً كريماً (٩١) ولا يخفى ما للتأويل في القرآن من دور في بيان معاني الألفاظ والعبارات ولاسيما باستعمال الحسن والاستحسان حتى في القراءات القرآنية ، كما في قوله تعالى ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**﴾ فصلت / ١٧ وانما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملاً في المضمر وشغلته به ولولا ذلك لم يحسن لانك لم تشغله بشيء وهذا الاستحسان للرفع اذا تقدم الاسم وشغل الفعل بضمير الاسم ، يجعل الرفع على الأقل لا يقل في درجة جوازه عن النصب ، ان لم يكن يفوقه في درجة الاستحسان ، لوجود الضمير المشغول به الفعل عن الاسم ... وان النصب في أمثال هذه العبارات عربي كثير والرفع أجود (٩٢) وهذا يعني ان التأويل لم يكن بعيداً عن القضايا الاجتماعية والثقافية فضلاً عن الدينية .

ففي قوله تعالى ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ**﴾ (فصلت / ١٠) . القراءة المتبعة هي بتنوين النصب (لسواء) قرأ النحاس سواءُ بالرفع (٩٣) ، وقرأ يعقوب سواءِ بالجر وقرأ الباقون سواء بتنوين النصب ، وقرأ الطبرسي " سواء للسائلين بالنصب وبين معناها أي مستوية

كاملة من غير زيادة ولا نقصان للسائلين عن مدة خلق الأرض " [٩٤] فالرفع أول مراتب الإعراب وأرفعها ويعد عمدة الكلام وهو ما لا يكون إسناد الا بـه ولا يـتم تركيـب الا بوجوده ، أما الخفض او الجر فليس بعمدة ويقع التوسيط بين طرفي الرفع والخفض [٩٥] .

ويرتبط التأويل في القراءات القرآنية بالإعراب وتوجيه المعنى لانه سند للرواية التي هي كل شيء بالنسبة للقراءات فمتى رويت لا يصح الطعن فيها . جاء فـي قولـه تعالى **﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** البقرة / ١١٧ ، قرأ ابن عامر بنصب (يكون) منهـا وتخطئة أبى حيان للإمام أحمد بن موسى في قوله " وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب وقـد أشكلت على النحاة حتى تجرأ احمد بن موسى الحكم بخطئها ... وهو سوء أدب على من احتج على الخطأ " [٩٦] فالتأويل عملية ظاهرة على مستوى المقـروء والمكتـوب يتجـه لكشف القصد القرآني في القراءة القرآنية ففي قوله تعالى **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّـاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّـرَا بَيْتِـيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّـــــجُودِ** البقرة / ١٢٥ فالقرآن على قراءة الكسر في (وإتخِذوا) على انه فعل أمر . وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على انه فعـل ماض ، وقرأ الباقون بكسر الخاء على انه فعل أمر [٩٧] فمن قرأ بكسر الخاء جاء علـى معنى الامر والإلزام ويكون عطفاً على قوله **﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْـتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** البقرة / ١٢٢ .

ومن قرأ بفتح الخاء عطفه على ما تقدمه من الفعل الذي أضيف إليه فكأنه قـال واذا اتخذوا [٩٨] . وهكذا قرأ القراء بالفتح والكسر واختلفوا في المعنى العام للسورة ممـا أدى إلى تأويل الفعل (اتخذوا) بين الماضي والأمر . ومثلها الاختلاف في بنـاء الفعـل للمعلوم والمفعول في قوله تعالى **﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِـكَ مِـنْ أَوْلِيَـاءَ﴾** الفرقان /الآية ١٨ ، القرآن على قراءة لتخذ بالبناء للمعلوم ، وأول الزمخشري قراءتهـا بالبناء للمفعول وسبقه في ذلك ابن جني وكذلك الطبري ، وقـد أول الآلوسـي قراءتهـا وأوصلها إلى خمسة عشر قارئاً ونقل توجيها عن الزمخشري ووصف ناقـديها بالجهـل ومنهم الزجاج الذي صرح باسمه فكان من قوله " والزجاج خفى عليه أمر هـذه القـراءة على مذهبه فقال هذه القراءة خطأ ولا يخفى عليك ان في الإقدام على القول بأنها خطأ او ساقطة مع روايتها عمن سمعت من الأجلـّة خطراً عظيماً ، ومنشأ ذلك الجهل ، ومفاسده

لا تحصى " [٩٩] وفي قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾البقرة / ٦ ففي أأنذرتهم قراءات ثلاث .

قرأ عاصم وحمزة والكسائي بهمزتين وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو بالهمزة والمد وتليين الهمزة الثانية ، والباقون يجعلونها بين بين ، وكذلك قراءة الكسائي اذا خففت، وأبو عمرو أطول مداً من ابن كثير واختلف في المد عن نافع ، قرأ ابن عامر بألف بين همزتين ويجوز في العربية أوجه ثلاثة :

١- أأنذرتهم بتحقيق الهمزة الأولى وتحقيق الثانية بجعلها بين بين .

٢- وأنذرتهم بهمزة واحدة وعليهم أنذرتهم ، على إلقاء حركة الهمزة على الميم نحو قد أفلح فيما روى عن نافع .

٣- أما وجه الهمزتين او سبب تجوزها فيه حجج - الحجة الأولى - أما وجه الهمزتين فانه الأصل لان الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة الفعل ، والحجة الثانية : إدخال الألف بين الهمزتين فمن قرأ أراد ان يفصل بين الهمزتين استثقالاً لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين نحو أضربنانِّ استثقالاً لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة

فيا ظبية الدعساء بين جلاجل وبين النعاء أنت ام أساكم [١٠٠]

وأما من فصل بين الهمزتين وليّن الثانية فوجهه التحقيق من جهتين (الفصل والتليين) لانك اذا لينتها فقد أمتها وصار اللفظ كأنه استفهام فيه ، ففي المد توكيد الدلالة على الاستفهام ، كما في تخفيف الهمزة ، وأما من حقق الأولى ولين الثانية من غير فصل بالألف فهو القياس ، لانه جعل التليين عوضاً عن الفصل وأما من اكتفى بهمزة واحدة فانه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة

لعمرك ما أدري وما كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بثمان [١٠١]

وأما من ألقى حركة الهمزة على الميم فانه على تليين وتحقيق الثانية والعرب اذا ليّنوا الهمزة المتحركة وقبلها ساكن ألقوا حركتها على ما قبلها ، قالوا من بوك ومن مُك وكم بلك [١٠٢] .

كما ان تعارض القراءتين في آية واحدة يؤدي إلى التأويل كقوله **تعالى ﴿ وامسحوا برؤسكم وارجلكم ﴾** المائدة / ٦ قرأ ابن عامر ونافع والكسائي بالنصب وقرأ ابن كثير

وابو عمرو وحمزة بالجر [١٠٣] " وقالوا :" يجمع بينهما بحمل إحداهما على مسح الخف والثانية على غسل الرجل اذا لم يجد متعلقاً سواهما (...) فإذا لم يكن لها متعلق سواهما تصدى لنا الإلغاء او الجمع ، فأما اذا وجدنا متعلقاً سواهما فالمتعلق هو المتبع " [١٠٤] .

وهكذا يكون التأويل في القراءة القرآنية لا يعني اختلاف القراءة او اختلاف الإعراب بقدر ما يعني الوصول الى القاعدة الأساسية وكشف ما يشذ عنها وما يخالفها ولعل هذه المهمة هي مهمة التأويل الأولى في عرف النحويين .

• **وقد يكون الجواز بوجهين واعتبارين سبباً للتأويل** ففي قوله تعالى **﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾** الأعراف / ١٢٧ مع قوله تعالى **﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾** النازعات / ٢٤ " فقيل : يجوز ان يكون معناه ويذرك وآلهتك ، ان ساغ لهم ، ويكون إضافة الآلهة إليه ملكاً كان يعبد في دين قومه ، ثم يدعوهم الى ان يكون هو الأعلى ، كما تقول العرب : موالي من فوق وموالي من أسفل ، فيكون اعتقادهم في الآلهة مع فرعون انها مملوكة له ، فيحسن قولهم : " وآلهتك " [١٠٥] فالتأويل هنا استطاع ان يحل بعض الاعتبارات المشكلة في المعنى .

• **وقد يكون اختلاف جهتي الفعل مدعاة للتأويل** كقوله تعالى **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾** الانفال / ١٧ اضيف القتل اليهم على جهة الكسب والمباشرة ، ونفاه عنهم باعتبار التأثير ؛ ولهذا قال الجمهور ان الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للآدميين ، فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى [١٠٦] .

إن هذه الأسباب الموهمة للاختلاف سبب رئيس للتأويل فالأفعال دائماً تكون من الله ولاسيما الإنشاء والإيجاد ، والاكتساب للخلق كقوله تعالى **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾**الانفال / ١٧ " أي ما رميت خلقاً اذ رميت كسباً ". وقيل ان الرمي يشتمل على القبض والارسال ، وهما بكسب الرامي ، وعلى التبليغ والاصابة ، وهما بفعل الله عز وجل ، قال ان جرير الطبري : وهي الدليل على ان الله خالق لافعال العباد ، فان الله تعالى اضافه الى نبيه ثم نفاه عنه ، وذلك فعل واحد لانه من الله تعالى التوصيل ، ومن نبيه بالحذف والارسال ، واذا ثبت هذا لزم مثله في سائر افعال العباد المكتسبة فمن الله تعالى الإنشاء ولإيجاد ، ومن الخلق الاكتساب بالقوى [١٠٧] .

• **وهناك من النصوص القرآنية ما لايفهم معناه الا باللجوء الى التأويل** كقوله تعالى **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾**الحديد / ٤ جاء في تفسير القرطبي : " وقد جمع في هذه الاية بين استوى على العرش " وبين " وهو معكم " والأخذ بالظاهري تناقض فدلّ على انه لا بد من التأويل والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض والآية محمولة على حذف مضاف أي وعلمه معكم " (١٠٨) فالتأويل في ضمن هذا المفهوم يحتمل الاجتهاد والنظر العقلي وترجيح معنى على آخر قد يحملها سياق اللفظ الظاهر ، بل قد يدخل فيه الظن لما فيه من احتمال وترجيح ، بيد انه لا يكون ظنّا مزاجيا يرتأيه المؤول كيفما اتفق ، إذ لا محيص له من معايير أساسية يعتمدها ولا يحيد عنها في استنباطه للمعاني والأحكام الشرعية ومن جملة هذه المعايير ، معرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالاتها حسب السياق ومعرفة الأساليب العربية (١٠٩) لا بد من معرفة مدلولها العقلي " لان العقل قد اقتضاه من حيث دل على انه تعالى قديم ، ولو كان جسماً يجوز عليه الامكان لكان محدثاً – تعالى الله عن ذلك لان الأجسام لا بد أن يلزمها دلالة الحدث وهي أيضاً لا تنفك من الحوادث ولا تخلو منها " (١١٠) هذا تأويل الاستواء الذي يعني الاقتدار عقلاً وحمل المعنى اللغوي عليه الذي يعني الانتصاب والاعتدال وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن (المراد بالاستواء الاقتدار والقهر والغلبة) وهذا سائغ في اللغة شائع فيها ، اذ القائل يقول استوى الملك على الإقليم إذا احتوى على مقاليد الملك فيه) (١١١) والى هذا التأويل ذهب الغزالي وظن ان هذا التأويل لا ينافي وصف الله ولا يتطرق اليه سمات الحوادث (١١٢) أما الرازي فيقول في تأويله آية الاستواء: " انه لا بد من المصير الى التأويل ، وهو أن الدلالة العقلية لما قامت على امتناع الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستواء على معنى الاستقرار ، فأما ان نعمل بكل واحد من الدليلين ، واما ان نتركهما معاً ، واما ان نرجح النقل على العقل ، واما ان نرجح العقل ونؤول النقل، والأول : باطل والا لزم أن يكون الشيء الواحد منزهاً عن المكان حاصلاً في المكان وهو المحال . والثاني : أيضاً محال لانه يلزم رفع النقيضين معاً وهذا باطل . والثالث : باطل لان العقل اصل النقل فانه ما لم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع وعلمه وقدرته وبعثته للرسل،لم يثبت النقل، فالقدح في العقل يقتضي القدح في

العقل والنقل معاً . فلم يبق إلا أن نقطع بصحة العقل ونشتغل بتأويل النقل وهذا برهان قاطع في المقصود اذا ثبت هذا فنقول ، قال بعض العلماء : المراد من الاستواء الاستيلاء . قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مراق (١١٣)

وان تأويل استوى بمعنى استولى مرفوض عند اهل اللغة اذ قالوا " لا يجوز استوى بمعنى استولى الا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر ، والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال فامتنع أن يكون بمعنى استولى " (١١٤) لان الله سبحانه وتعالى لا يشابهه شيء مع مخلوقاته **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾**الشورى / ١١ .

وهذا يوجب على المؤولين أن يتفحصوا ألفاظ القرآن ويبتعدوا عن التحريف والنظرة السطحية لآيات القرآن الكريم، فآية ٤ من سورة الحديد لا يمكن ان تحمل على ظاهرها بل لا بد من معرفة مدلولها الذي يعني " وعلمه معكم " وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها شرط ان لا يكون في ذلك إضلال وفتنة ، فعلى المؤول إدراك القصد الواقعي والعقلي لمثل هذه الآيات ، ففي بيان المراد من قوله تعالى **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾** البقرة / ٢٥٥ يتضح المعنى من ان المقام الربوبي الذي يقوم به ما في السموات والأرض من حيث انها مملوكة مدبرة معلومة فهو من مراتب العلم وبتعليق للسعة من المعنى : انها حفظ كل شيء مما في السموات والارض بذاته وآثاره ، ولذلك ذيله بقوله : ولا يؤده حفظهما (١١٥) وما قيل في معنى العرش : ان للعرش في قوله : " ثم استوى على العرش " مصداقاً خارجياً (١١٦) وهذا يعني انه للعرش احاطة تدبرية لملكه عز وجل يدل على ان هناك مرحلة حقيقية هي المقام الذي يجتمع فيه جميع ازمة الامور على كثرتها واختلافها ودليل ذلك ايات تذكر العرش كقولة تعالى **﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾** الزمر / ٧٥ **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** الحاقة / ١٧ ، **﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** التوبة / ١٢٩ **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾** غافر / ٧ **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** هود / ٧ . فالمعنى وكان عرشه يوم خلقهن على الماء وكون العرش على الماء يومئذ كناية عن ان ملكه تعالى كان مستقراً يومئذ على هذا الماء الذي هو مادة الحياة فعرش الملك مظهر ملكه ، واستقراره

على محل هو استقرار ملكه عليه كما استواء العرش احتواؤه على الملك وأخذه في تدبيره (١١٧) واما حملة العرش ، فهم الملائكة الذين يحملون العرش والمقربون منهم (١١٨) .

واما علاقة الكرسي بالعرش ، فهما " مقرونان لان الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنه الاشياء كلها ، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والمشيّة وحقيقة الارادة وعلم الالفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء فهما في العلم بابان مقرونان لان ملك العرش سوى ملك الكرسي ، وعلمه اغيب من علم الكرسي في ذلك قال : رب العرش العظيم أي حقيقته أعظم من حقيقة الكرسي " (١١٩) .

فالتأويل هنا يعد الأساس للمسائل الاعتقادية والأحكام العلمية للقرآن فهناك معانٍ مختلفة في القرآن كان لها دور كبير في وضع شروط جازمة تحكم قاعدة التأويل بين اللفظ والمعنى وهي في القرآن كثيرة لا تحصى .

- **ومن الأسباب الداعية للتأويل العدول عن الأصل أو النمط المألوف**

يمكن أن نعد التأويل عدولاً عن المعنى الظاهر وهذا ابن الأثير يقول : " ان المعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره الى التأويل يقع فيه الخلاف ، اذ باب التأويل غير محصور والعلماء متفاوتون في هذا " (١٢٠) .

مثال العدول في الصيغ فصيغة (أفتعل) تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف فعل ، ومن ذلك اصطبر ، واجتهد ، واكتسب ، في قوله تعالى ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾البقرة / ٢٨٦ فقد اقترن لفظ الكسب مع الخير ولفظ الاكتساب مع الشر لان النفس تشتهي الشر وتنجذب إليه (أمّارّة بالسوء) لذلك تلاءمت لفظة اكتسبت مع داعية الحال " لان في الاكتساب اكتمالاً لا يكون في الكسب الذي يلازم الخير " (١٢١) .

ويمكن أن نقول ان القرآن يضع كل تعبير في مكانه الأليق به واللفظ اذا كان " على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر اكثر منه فلا بد من ان يتضمن من المعنى اكثر مما تضمنه اولاً ، لان الالفاظ ادلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها فاذا زيد من الألفاظ أوجبت القسمة زيادة في المعاني "(١٢٢) ففي قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾القمر / ٥٤ – ٥٥ نجد اقتدر تفيد معنى أقوى من (قدر) فقد عدل في الاية من قدر ولم يقل ملك قدر او ملك قادر وذلك لان

مليك أبلغ من ملك لما للزيادة الصوتية من زيادة في المعنى ونظير ذلك قادر ومقتدر في قوله تعالى ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ القمر / ٤٢ فمقتدر أبلغ من قادر وعدل اليها للدلالة علىتفخيم للأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر الا عن قوة الغضب او الدلالة على بسطة القدرة فالمقتدر أبلغ في البسطة من القادر وذلك ان (مقتدر) اسم فاعل من (اقتدر) وقادر اسم فاعل من قدر ولا شك ان (افتعل) أبلغ من (فعل) "[١٢٣] . وهكذا يأول العدول من صيغة إلى صيغة ومن لفظة إلى لفظة إلى مراعاة مقتضيات المقام في كل سياق ففي قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آل عمران / ٤٤ وقوله ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يس / ٤٩ يقول الطبري : " وما كنت يا محمد عند قوم مريم إذ يختصمون فيها أيهم أحق بها وأولى " [١٢٤] وتدل يختصمون على التنازع والمشاركة فيه وعدل عنها الى صيغة بنائية اخرى (يخصمون) لتدّل على مداهمة الصيحة لهم وهم في حالة اضطراب شديد ، وأوجد التغاير الصوتي الايقاعي بين الصيغتين تفسيراً نفسياً دقيقاً للآيتين فتناغم الاصوات يعطي قيماً تعبيرية متباينة تتسق ومقتضى الحال ، ويجب ان ترتبط دراسة الصيغ الصرفية باللغويات " لعلاقتها المباشرة بعلم أساليب اللغة ، والتحليل اللغوي ... فالانفعالية الكامنة في بعض الصيغ الاشـــتقاقية توفر من الابلاغية ما لاطاقة لغيرها به " [١٢٥] والأصل في(يخصمون) يختصمون أبدلت التاء صادا وأدغمت في الصاد فصارت (يخصّمون) وأفاد التضعيف القوة والمبالغة في الاختصام وتعني الآية ان الساعة عند قيامها تقطع الاختصام بصيحتها، ومن شدة الهول فلا خصومة ، ولا حراك بل سكون وصمت ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ يس / ٥٠ لذلك كانت (يخصّمون) هي الاليق بالسياق ولا يدل الاصل (يختصمون) على هذه الدلالة والمبالغة ، ويقول تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ الزمر / ٣١ ففيها عدول عن الادغام الى غيره فالاختصام أمام الله سبحانه وتعالى يتغاير مع الاختصام في الدنيا ، الذي يشمل ما يستدعي القضاء والفصل بين المتخاصمين ، كما يشمل غير ذلك ، أما الاختصام عند رب العالمين فهو مما لا يستدعي القضاء والفصل [١٢٦] وعن صيحة يوم القيامة جاء في البحر المحيط " وهذه هي النفخة الاولى تأخذهم فيهلكون وهم يتخاصمون في معاملاتهم وأسواقهم في أماكنهم من غير

إمهال لتوصية ولا رجوع الى أهل ، وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم ، والرجل يخفض ميزانه ، ويرفع أكلته الى فيه ، فما تصل الى فيه حتى تقوم " (١٢٧) وهكذا تتغاير الصيغ النطقية والبنى الصرفية على وفق مقتضيات السياق وما يستدعيه حال الخطاب " فمقام الشكر يباين مقام الشكاية .. ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد .. يباين مقام الهزل .. وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادقة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال " (١٢٨) ولهذا يحصل التأويل في العدول لانه انزياح عن النمط المعروف عند البشر على وفق مسوغات داعية إليه ولتأويله .

• **وتأخذ لغات القبائل في القرآن الكريم نصيباً اكبرمن التأويل** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا** ﴾ الفرقان /الآية ١٨، قال ابن عباس : يعني هلكى بلغة عمان (١٢٩) وقد أيده الطبري (١٣٠) والقرطبي (١٣١) وروى عن الحسن البصري انه قال: " بوراً – لا خير فيهم مأخوذ من بوار الارض ، وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير " (١٣٢) وقال الفراء : " البائر الذي لا شيء فيه ، تقول أصبحت منازلهم بوراً، أي لا شيء فيها ، فكذلك أعمال الكفار " (١٣٣) باطلة لا خير فيها . وجاء في تفسير ابن حيان بأن البور : " معناه الفساد بلغة الازد ، قيل ان (بوراً) معناها فسدى وهي لغة الازد يقولون : أمر بائر ، أي فاسد ، وبارت البضاعة فسدت " (١٣٤) واختلاف اللهجات يؤدي إلى اختلاف الدلالات فيكون سبباً للتأويل .

• **وقد تحدث التأويلات في المادة الاشتقاقية الواحدة** من ذلك لفظة " القنوت " في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** ﴾ البقرة / ١١٥ ، قال الطبرسي في القنوت " الأصل في القنوت الدوام ، ثم يستعمل على وجوه ، منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله تعالى : ﴿ **كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** ﴾ البقرة / ١١٥ أي مطيعون ، ومنها ان يكون بمعنى الصلاة كقوله تعالى : ﴿ **يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ آل عمران / ٤٢ ، بمعنى طول القيام ، وروى جابر ابن عبد الله قال : سئل النبي محمد (ﷺ) : أي الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت أي طول القيام ، ويكون بمعنى الدعاء ، قال صاحب العين :(القنوت في الصلاة . دعاء بعد القراءة في آخر الوتر يدعو قائماً ومنه قوله﴿ **أمن هو قانت أناء**

الليل ساجدا و قائما ﴾ الزمر/٩، ويكون بمعنى السكون ، قال زيد بن أرقم : كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت " **وقوموا لله قانتين** "البقرة/٢٣٨ .. فامسكنا عن الكلام) [١٣٥] وبين احتمالات القنوت في قوله تعالى : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ البقرة / ٢٣٨ قال : واصل القنوت الدوام على امر واحد ، وقيل أصله الطاعة ، وقيل أصله الدعاء في حال القيام ، قال علي بن عيسى : والأول أحسن لحسن تصرفه في الباب لان المداوم على الطاعة قانت وكذلك المدام في صلاته على السكون الا عن الذكر المشروع وكذلك المداوم على الدعاء ، ويقال فلان يقنت أي يدعو دائماً [١٣٦] وهكذا تكون المعاني المؤولة يكمل بعضها بعضاً .

وهكذا نجد ان الأسباب الداعية للتأويل نحن بحاجة إليها علماً أن هناك ألفاظاً ترافق التأويل مثل قال ، وقيل ، واختلف ، ووجهه . وذلك لان مدلولات الألفاظ أكثر في علم الغيب ففي قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ البقرة / ٣٣ ، أي اتخذ انت وزوجتك الجنة مسكناً ومأوى لتأوي اليه وتسكن فيه أنت وامرأتك – واختلف في هذا الأمر فقيل انه أمر تعبد، وقيل هو إباحة لأنه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف .

وقوله (وكلا) إباحة وقوله (لا تقربا) متعد بالإنفاق ، وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه لما أخرج إبليس من الجنة ولعن ، بقي آدم وحده، استوحش إذ ليس معه من يسكن إليه فخلقت حواء ليسكن إليها ، وروي أن الله تعالى ألقى على آدم النوم وأخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فإذا عند رأسه امرأة فسألها من أنت : قالت : امرأة قال لم خلقت قالت لتسكن اليّ فقالت الملائكة ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حيّ فعندها قال الله تعالى (اسكن أنت وزوجك الجنة) .

وقيل انها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة ثم ادخلا معاً الجنة وفي كتاب النبوة : ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حواء من آدم ، فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال ، قال أهل التحقيق ليس بمبتغ أن يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد أن لا يكون مما لا يتم الحي حيا إلا معه لان ما هذه صفته لا يجوز أن ينقل إلى غيره أو يخلق منه حي آخر من حيث يؤدي إلى أن لا يمكن إيصال الثواب إلى مستحقه لان المستحق لذلك هو الجملة بأجمعها وانما سميت حواء لانها خلقت من حي على ما ذكره قيل وقيل لانها أم لكل حي . واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم – فقال أبو هاشم هي جنة من جنان السماء غير جنة الخلد لان جنة الخلد أكلها دائم ولا تكليف فيها ، وقال أبو

مسلم : هي جنة من جنان الدنيا في الأرض وقال ان قوله (اهبطوا منهـا) لا يقتضـي كونها في السماء لانه مثل قوله ﴿**اهبطوا مصرا** ﴾ البقرة / ٦١ .

واستدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿ **هَـلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ** ﴾ طه / ١٢٠ فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالماً بذلك ولم يحتج الى دلالة وقال أكثر المفسرين والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصـل بـن عطـاء وكثير من المعتزلة كالجبائي والرماني وابن الاخشيد انها كانت جنـة الخلـد لان الألـف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان تكون وسوسة إبليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا من يزعم أن جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها لان ذلـك انما يكون إذا استقرّ أهل الجنة فيها للثواب فاما قبل ذلك فانها لقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَـيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ القصص / ٨٨ [١٣٧] .

وهكذا تكون الأمور الغيبية والمتشابهة مدعاة للتأويل لانه لا يعلم دلالتها المطلقة الا الله ومن هنا يكون التأويل بحثاً في الدلالة القريبة مما يريده الله علماً ان الغلـو فـي التأويل يفقد النصوص قيمتها ولا سيما عندما يكون التأويل لا يعتمد على نص شـرعي صحيح ، أو لم يقل به أحد من علماء السلف ، كما ان الإسراف فيه يتنـافى مـع كـون الاسلام دينا عملياً صالحاً لكل زمان ومكان ويتنافى مع قوله عز وعلا بانه بيان وتبيان لكل شيء وانه ميسر للذكر وان آياته مطلوب تدبرها والتفكر فيها .

ومن خلال تتبعنا للأسباب الداعية للتأويل اتضح لنا ان التأويل ينتج من اختلاف في التفسير ، فهناك التفسير بالمأثور (*) والتفسير بـالرأي (**) والتفسـير الفقهـي (***) وتفسير اتجه أصحابه اتجاهات سنية (***) وشـيعية (****) وصـوفية (*****) واعتزاليـة (******) وعلمية ولغوية وبلاغية(*******) ...الخ وان كثرة التفاسير جعلت القارئ يتـوه في خضم هذه الآراء ، والتحليلات ، والمناقشات الفقهية والعلمية ، والعقائدية ، علمـاً ان التأويل كان يوجه الأنظار لأسرار القرآن البيانية ، ومراتبه العليا البلاغية والى إعجـازه الذي ليس في قوة أحد من البشر أن يأتي بمثله .

والتفسير بالمأثور هو أول أنواع التفسير ظهوراً وقد توسع المفسرون في إيراد القصـص النبوي وقصص الأمم وكان هدفه التنبيه والموعظة لا التاريخ والتنبيه على سنة الله فـي اجتماع لا تفضيل لقول [١٣٨] .

إلا أن أكثر التفاسير مدعاة للتأويل هو التفسير بالرأي لما تحمله لفظة رأي من اعتقاد أو اجتهاد . والتأويل الناتج عنه لا يؤدي إلى اختلاف في الفهم أو تناقضه لان المؤول لا يكون مؤولاً او مفسراً الا على وفق ضوابط يمكن ان نطلق على تفسيره التفسير بالجائز ، أما التفسير بغير الجائز الذي لا يأتي عن علم ودراية فهو مرفوض غير مأول استناداً الى قول الرسول (ﷺ) (من قال برأيه في القرآن فقد أخطأ) [١٣٩] والتفسير بالرأي لا يجوز إلا بعد توفر المفسر على المؤهلات اللازمة وقد حددها السيوطي بخمسة عشر علماً يستند إليها المفسر في تفسيره [١٤٠] وقيل ان أأمن طريق للتفسير أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمِل في مكان فقد فصل في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فانه قد بسط في آخر ، فان أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فانها شارحة للقرآن ، وموضحة له ، قال تعالى: **﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾** النحل/٦٤ ولهذا قال (ﷺ) (الا اني أوتيت القرآن ومثله معه ...) يعني السنة ، فان لم يوجد في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة ، فأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن ، ولما أعطاهم الله من الفهم العجيب ، فان لم يوجد ذلك يُرجع الى النظر والاستنباط بالشرط السابق[١٤١] كقوله تعالى **﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾** البقرة / ١٧٨ فإنها نزلت تفسيراً وبياناً لمجمل قوله **﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾** المائدة / ٤٥ ومثله قوله **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾** النساء / ٢٣ هي تفسير لقوله **﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾** النساء / ٢٢ أو يفسر بالأحكام ومنها قوله عن أهل الكساء : (هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) * سياق القرآن يدل على إرادة الأزواج ، وفيهن نزلت ، ولا يمكن خروجهن عن الآية ، لكن لما أريد دخول غيرهن قيل بلفظ التذكير : **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾** الاحزاب / ٣٣ فعلم ان هذه الارادة أداة شاملة لجميع أهل البيت لجميع الذكور والإناث بخلاف قوله **﴿يا نساء النَّبيِّ ﴾** الأحزاب / ٣٢ [١٤٢]. بمثل هذه التفسيرات يستشف الإنسان هدى القرآن فيما يصحح به علاقاته بربه ، حيث تكون معرفته معرفة صحيحة ، لا يشوبها من غبار وعلى المؤول أن يجعل هدفه الأسمى إبراز محاسن القرآن ، وفضائل تشريعاته لخدمة الأفراد ، والمجتمع الإسلامي .

المعنى والتأويل

ومن أجل فهم أقوال القرآن الكريم واستخراج أحكامه وكيفية النطق بألفاظه ومدلولاته الافرادية والتركيبية فلابد من كشف المعنى وإبانته ، إذ لا قيام لأي لغة بدون المعنى ، وهذا المفهوم (المعنى) ينظر إلى اللغة من ناحية براجماتية وبالتالي يتم تعريفها براجماتياً ، بوصفها الأداة التي من شأنها أن ترسم للفرد طريقاً وتحدد له سلوكاً في تعامله مع الغير ، فاللغة بهذا المعنى تكون " وسيلة للتوصيل وأداة للتسجيل ومساعداً آلياً للتفكير"(١٤٣) فاللغة يجب ان تكون ذات دلالة او معنى (*) وهناك معان في القرآن الكريم لا يمكن ان تعد او تحصى ، لان المعنى لا يمكن ان يكمم او يقاس ، ومن هنا نشأت وجهات نظر مختلفة حول معاني القرآن فيذكر الجرجاني ت ٨١٦ هـ ان المعاني هي " الصور الذهنية التي توضع ألفاظ مناظرة لها ، فاذا كان المقصود بالصورة الذهنية هو اللفظ ، سميت في هذه الحالة بمعنى اللفظ ، وهكذا يكون المعنى هو ما يُقصد (أي الصورة الذهنية) بشيء (أي اللفظ) ، أما اذا كانت الصورة الذهنية هي ما تفهمه من اللفظ فانها تسمى في هذه الحالة بالمفهوم ، فاذا بدأنا من الصورة الذهنية . وثبتناها يلفظ يناظرها كانت الصورة هي معنى اللفظ ولو بدأنا من اللفظ لكي نفهم فيه صورة ذهنية كانت الصورة هي المفهوم " (١٤٤) هذا يعني ان المعاني " هي الصور الذهنية من حيث انه وضع بأزائها الألفاظ والصورة الحاصلة في العقل فمن حيث انها تقصد باللفظ سميت بمعنى اللفظ ولهذا كانت مشكلة التأويل متعلقة بمفهومي (المعنى واللفظ) واختلاف الفرق الإسلامية في فهمهم للمعنى ، فالأصوليون يضعون المعنى في مرتبة متقدمة على اللفظ ، واذا عنوا بالألفاظ فذلك من أجل المعاني يؤيد هذه النتيجة الشاطبي مثلاً يقول : " واللفظ انما هو وسيلة الى تحصيل المعنى المراد ، والمعنى هو المقصود " (١٤٥) وقام الأصوليون بتتبع اللفظ مفرداً ومركباً ، مطلقاً ومقيداً ، خاصاً وعاماً ، أمراً ونهياً ، حقيقة ومجازاً ، وفصلوا القول في المعنى من حيث ظهوره وخفاؤه ، وكيف نتعرف المقصود منه ، وسجلوا أدق الفروق بملاحظاتهم مراتب المعاني في الألفاظ ووضعوا القواعد لفهم النصوص واستنباط الاحكام ، اذ يستحيل صدور لفظ من غير وجود متلفظ ، والأصوليون

حين يبحثون أقسام الدال يوزعونه على فرعين هما الدال اللفظي ، والدال غير اللفظـــي ، ويوزعون كل صنف من الصنفين على ثلاثة أنواع :

أ- دال لفظي طبيعي كالصورة الصادرة عن الإنسان الدالة على مرضه كالأنين مثلاً .

ب – دال لفظي عقلي . مثل دلالة اللفظ على وجود متلفظ .

ج- دال لفظي وضعي مثل دلالة الألفاظ التي تواضع الناس على ايلائها معاني خاصة في اللغة (١٤٦) .

وحصروا دلالة اللفظ على المعنى في ثلاثة أوجه :

١- المطابقة – إذا دل اللفظ على تمام ما وضع له كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق .

٢- دلالة التضمن – إذا دل اللفظ على جزء مما وضع له كدلالة الإنسان على الحيـــوان فقط أو على الناطق فقط .

٣- دلالة الالتزام ، وهي غير لفظية في نظر الغزالي والتهاوني ، ويعرفهـــا التهـــاوني بقوله إذا دل اللفظ على خارج عما وضع له (١٤٧) فالمعنى عندهم هو الغاية واللفـــظ وسيلة وهو قول أئمة الفتوى من علماء الإسلام (١٤٨) والغزالي يرى المعنى أولاً وهو الذي يستدعي اللفظ (١٤٩)يخالفه الرازي يقول : عند الشعور باللفظ ينتقل الخيال الـــى المعنى (١٥٠) .

فالمعنى المؤول نسق من المعاني يحتكم الى سياق التعبير ويرتبط به كما يرتبط بالمضامين الدلالية انطلاقاً من ارتباطها بصياغاتها التعبيرية ، وارتباط التفسير بـــالمعنى يأتي من ان العملية التفسيرية او التأويلية هي بيان معاني الآيات القرآنية والكشـــف عـــن مقاصدها ومداليلها ، ويمكن معرفة معاني القرآن ومقاصده من خلال إطارين .

الأول : يتمثل بالعودة الى النص نفسه لتحديد قصد الله سبحانه وتعالى ومعرفة مضـــامين القرآن الكريم إيماناً منّا بأن القصد أمر ذاتي يكمن في البنية الداخلية للنص ، على حـــين ينظر الإطار الثاني الى علاقة القصد بالأثر على انه أمر خارجي ، ومن ثم تقطع علاقـــة النص بقائله او مؤلفه دون إلغاء معقوليته وإمكان فهمه (١٥١) وهذان الإطـــاران يشـــكلان العملية التأويلية في القرآن الكريم ويمكن ان نعد المعنى وتعدده في القرآن الكـــريم ســـبباً رئيساً للتأويل وذلك لان " مصطلح المعنى يحتوي هو نفسه على عدد من المعاني " (١٥٢) ولهذا سنتعرف لانواع من المعنى الداعية للتأويل في النص القرآني :

(١) **المعنى العام** : بمعنى يعم الجميع ، وعمم الأمر بمعنى أشملهم [١٥٣] وهو عبارة عن اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعداً[١٥٤] وهذا المعنى يدل على أفراد لا حصر لهم أي إطلاقاً بمعنى الاستغراق وعدم الحصر والشمول لجميع أفراده ومن هنا جاء التأويل في هذا المعنى فمنهم من أوله على انه (لفظ وضع على أفراد غير محصورين على سبيل الشمول والاستغراق [١٥٥] والعام يفيد العموم أما لفظاً ومعنى كالمسلمين والمسلمات واما معنى فقط كالقوم والرهط ...الخ او يكون خطاياً عاماً مراد به العموم كقوله تعالى﴿**يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ الانفطار / ٦ وقوله : ﴿ **هو الذي خلقكم من نطفة** ﴾ غافر / ٦٧ ومنه قوله تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا** ﴾ الكهف / ٧٧ ولم يقل (استطعمهم) للإشعار بتأكيد العموم ، وانهما لم يتركا أحداً من أهلها إلا إستطعماه وأبى ، ومع ذلك قابلهم بأحسن الجزاء [١٥٦] وهذا دليل عام من محاسن الاخلاق ومقابلة السيئة بالحسنة .

وقد أورد الشافعي في الرسالة أنواع العموم بقوله : " وان فطرته ان يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ، ويستغنى بأول هذا منه من آخره " [١٥٧] كقوله تعالى ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ هود / ٦ هذا من قبيل العام الذي أريد به العموم قطعاً ، والمعنى ان هذه الدواب أو كل ما يدب على الأرض رزقه على الله ، لان هذه سنة الله في خلقه ، اما العام المطلق الذي لم يخصص ولم تنف دلالته على العموم فهو كقوله تعالى ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾ البقرة / ٢٢٨ ويستعمل على عمومه حتى يرد دليل يخصصه ، ويقول ابن تيمية " والآية التي لها سبب معين ان كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان في منزلته " [١٥٨] وهذا يعني اذا ورد العام عن سبب خاص كنزول آية قرآنية أو ورود حديث لبيان حكم فيعم الحكم بحيث يصبح مدلول الكلمة مطلقاً وقد يأتي التأويل في هذا المعنى لاحتماله التخصيص او يتخيل للمفسرين التخصيص .

(٢) **المعنى المحتمل** : أي الاحتمال في المعاني التي تؤدي الى التأويل

كقوله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ** ﴾ التوبة /١٢٢ ، فانه يحتمل ان الطوائف لا تنفر من أماكنها وبواديها جملة ، بل بعضهم لتحصيل التفقه بوفودهم على رسول الله (ﷺ) ، واذا رجعوا الى

قومهم أعلموهم بما حصل لهم ، والفائدة في كونهم لا ينفرون جميعاً عن بلادهم حصول المصلحة في حفظ من يتخلف من بعضهم ممن لا يمكن نفيره . ويحتمل ان يكون المراد بالفئة النافرة هي من تسير مع رسول الله (ﷺ) في مغازيه وسراياه ، والمعنى حينئذ : انه ما كان لهم ان ينفروا أجمعين مع رسول الله (ﷺ) في مغازيه لتحصيل المصالح المتعلقة ببقاء من يبقى في المدينة ، والفئة النافرة مع رسول الله (ﷺ) تتفقه في الدين بسبب ما يؤمرون به ويسمعون منه فإذا رجعوا إلى من بقى بالمدينة أعلموهم بما حصل لهم في صحبة الرسول (ﷺ) من العلم [١٥٩] ولعل المعنى التأويلي الأول هو الأرجح، ومن المفسرين من يقول : ان منع النفير جميعاً حيث يكون رسول الله (ﷺ) بالمدينة ، فليس لهم ان ينفروا جميعاً ويتركوه وحده ، والحمل ايضاً على هذا التفسير الذي ذكرناه أولى من هذا ، لان اللفظ يقتضي ان نفيرهم للتفقه في الدين والانذار ، ونفيرهم مع بقاء رسول الله (ﷺ) بعدهم لا يناسبه التعليل بالتفقه في الدين ، اذ التفقه منه (ﷺ) وتعلم الشرائع من جهته ، فكيف يكون خروجهم عليه معللاً للتفقه في الدين [١٦٠] ولهذا يكون التأويل بترجيح أحد المعنيين المحتملين تجنباً لتناقض المعنيين كقوله تعالى **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾** التغابن / ١٦ ، فالمعنى يحتمل ان يكون من باب التسهيل والتخفيف ، ويحتمل ان يكون من باب التشديد بمعنى انه ما وجدت الاستطاعة فاتقوا ، أي لا تبقى من الاستطاعة شيء ، وبمعنى التخفيف يرجع الى ان المعنى : فاتقوا الله ما تيسر عليكم او ما أمكنكم من غير عسر [١٦١] وهذا المعنى يقودنا الى المعنى المشكل او الملتبس .

(٣) المعنى المشكل: المشكل لغة، من أشكل الأمر ، إلتبس ومنه قيل للامر المشتبه مشكل واشكل عليه الامر اذا اختلط * واما اصطلاحا فهو " ما كان خفاؤه في نفس لفظه ويدرك المراد منه بالعقل"** وقد يشكل المعنى عندما يكون اللفظ محتملاً لمعنيين او أكثر ولا يعرف السياق ايهما الراجح وايهما المرجوح كقوله تعالى **﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾** النساء / ١١٢ يحدث الاشكال لامكان ان يراد بالخطيئة ما وقع خطأ، وبالإثم ما وقع عمداً ومثله قوله تعالى **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾** الحديد /٤ فانه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات ، فتعين صرفه عن الذات ، وحمله إما على الحفظ والرعاية ، او على القدرة والعلم والرؤية [١٦٢] ومثله قوله تعالى **﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾** الانعام / ١٤٥ ، فان الباغي يطلق على الجاهل وعلى الظالم وهو فيه أظهر وأغلب ،

ومن هنا ينشأ الاشكال بين المعنيين كقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ البقرة / ٢٢٢ فيقال للانقطاع طهر ، وللوضوء والغسل [١٦٣] .

وقد يشكل المعنى اذا كان اللفظ مشتركاً بين حقيقة ومجاز ، ويصح حمله عليهما جميعاً كقوله تعالى ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ البقرة / ٢٨٢ قيل : المراد (لا يضارِر) وقيل : (يضارَر) أي الكاتب والشهيد لا يضارَر ، فيكتم الشهادة والخط ، ويحتمل ان من دعا الكاتب والشهيد لا يضارِره فيطلبه في وقت فيه ضرر " [١٦٤] ووجه الاشكال هنا ان اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة ، ولا يقتصر به على ذلك المعنى ، فأحياناً يصلح لكلا المعنيين ، وثمة حقيقة يجب ان تبان ان المعنى المشكل لا يؤدي الى الابهام وتعقيد فهم المعنى بل " ترى للجملة الواحدة او الكلمة الواحدة وجوهاً عدة كلها صحيح ومحتمل للصحة ، كانما هي فص من الماس يعطيك كل منه شعاعاً فاذا نظرت في اضلاعه جملة بهرتك الوان الطيف كلها ، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع ، ولعلك لو وكلت النظر فيها الى غيرك رأى فيها أكثر مما رأيت : وهكذا تجد كتاباً مفتوحاً مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له ، بل ترى محيطاً مترامي الاطراف ، لا تجده عقول الافراد ولا الاجيال " [١٦٥] وهذا هو سر من أسرار إعجاز القرآن .

وقد يرتبط المعنى المشكل بالتلوّم الذي جعله الفقهاء في الآجال المضروبة في الاحكام ، ويفصلونه من أيام الاجل ، كقوله تعالى ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الاعراف / ١٤٢ أعاد قوله أربعين ليلة وان كان معلوماً من الثلاثين والعشر انها اربعون لنفي اللبس لان العشر لما أتت بعد الثلاثين ، التي هي نصّ في المواعدة دخلها الاحتمال والاشكال ان تكون من غير المواعدة ، فأعاد ذكر الاربعين – والله أعلم – نفياً لهذا الاشكال وليُعلم ان جميع العدد للمواعدة وفي سورة البقرة قال تعالى ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ البقرة/ ٥١ فوقع الاشكال بالسؤال الآتي : لِمَ ذكر في سورة الاعراف الثلاثين ثم العشر ، وقال في سورة البقرة (أربعين ليلة) ولم يفصل العشر منها ؟ يجيب الزركشي : الله أعلم – انه قصد في الاعراف ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها فذكر على صفتها ، وفي البقرة انما ذكر الامتنان على بني اسرائيل بما أنعم به عليهم ، فذكر نعمه عليهم مجملة فقال : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ (البقرة / ٥٠) ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ (البقرة / ٤٩) وقوله تعالى

﴿ فصيام ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ البقرة / ١٩٦ . يحدث الاشكال في معنى الآية لان السبعة المذكورة عقب الثلاثة يحتمل ان تكون الثلاثة داخلة فيها ، كما في قوله ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ فصلت / ١٠ أي مع اليومين اللذين خلق الارض فيها ، فلابد من اعتقاد هذا التأويل ليندفع ظاهر التناقض ، فجاء التقييد بالعشرة لرفع توهم التداخل ، فاحتمال الاشكال يحدث عندما لا تكون هناك جملة وأقتصر على التفصيل فقط فان مجيء جملة (تلك عشرة كاملة) رفع الاشكال[١٦٦]. وذكر الزمخشري في " فصيام ثلاثة ايام في الحج " أي وقته وهو أشهره ما بين الاحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج ، وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم الترويه وعرفة ويوماً قبلهما ، وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم ، وعند الشافعي : لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكاً بظاهر قوله : (في الحج) .

(وسبعة اذا رجعتم) بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة ، وعند الشافعي : هو الرجوع الى أهاليهم ، وقرأ ابن أبي عيلة (وسبعة) بالنصب عطفاً على محل ثلاثة أيام ، وكأنه قيل : فصيام ثلاثة أيام ، كقوله ((او إطعام في يوم ذي مسبغة يتيماً) فان قلت فما فائدة الفذلكة ؟ قلت ؛ الواو قد تجئ للاباحة في نحو قولك : جالس الحسن وابن سيرين ، ألا ترى أنه لو جالسهما جميعاً او واحداً منهما كان ممتثلاً ففذلكت نفياً لتوهم الإباحة ، وايضاً ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ليحاط به ومن جهتين ، فيتأكد العلم وفي أمثال العرب : علمان خير من علم . وكذلك " كاملة " تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها ، وقيل : كاملة في وقوعها بدلاً من الهدي . وفي قراءة أبي : فصيام ثلاثة أيام متتابعات (ذلك) إشارة الى التمتع عند ابي حنيفة وأصحابه ، لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ، ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جنابة لا يأكل منه ، واما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي : إشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدى او الصيام ولم يوجب عليهم شيئاً وحاضرو المسجد الحرام ؛ أهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة ، وعند الشافعي : أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة " [١٦٧] وهكذا يكون الإشكال وارد لاحتمال ان يتوهم ان المراد بالسبع ما هو أكثر من السبع وللعرب مستند قوي في

إطلاق السبع والسبعة وهي تريد الكثرة ، فان الثلاثة لما عطف عليها السبعة احتمل ان يأتي بعدها ثلاثة او غيرها من الاعداد ، فقيد بالعشرة ليُعلم ان المراد كُمُل ، وقطع الزيادة المقتضية للتسلسل ، ... وان السبعة المذكورة عقب الثلاثة يحتمل ان تكون الثلاثة داخلة فيها " [١٦٨] فالتقييد بالجملة رافع لذلك الاشكال . وهكذا يحتاج المشكل الى فضل تأمل وبحث لتعيين المراد منه والى قرينة تسند ذلك التعيين ، ويدخل تحت المعنى المشكل، المعنى المتشابه والمعنى المشترك والمعنى المجمل والمعنى الخفي .. الخ .

(٤) المعنى المتشابه : من شبه عليه خلط عليه الامر حتى اشتبه بغيره [١٦٩] وهو أكثر أنواع المعنى تأويلاً وتشابهاً ويدخل في ضمن المعنى الغيبي ولاسيما في القرآن الكريم كفواتح السور مثل (ق) و (ص) و (حم) ، و (كهيعص) وهذه يتعذر معرفة المقصود منها لا بتأمل ولا دليل [١٧٠] ، وهذه الحروف المقطعة تعد معجزاً رئيساً في اعجاز القرآن الكريم ومتشابهاً لا يعلم تأويله الا الله سبحانه وتعالى .

" وأصل المتشابه ان يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني ، كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾** البقرة / ٢٥ أي متفق المناظر ، مختلف الطعوم ويقال للغامض : متشابه ، لان جهة الشبه فيه كما تقول لحروف التهجي ، والمتشابه مثل المشكل لانه أشكل ، أي دخل في شكل غيره وشاكله ، واختلفوا فيه ، فقيل : هو المشتبه الذي يشبه بعضه بعضاً ، وقيل ، هو المنسوخ الغير المعمول به وقيل : القصص والامثال ، وقيل ما أمرت ان تؤمن به وتكل علمه الى عالمه . وقيل : فواتح السور : وقيل ما لا يُدرى الا بالتأويل (...) وقيل الآيات التي يذكر فيها وقت الساعة ، ومجئ الغيث ، وإنطقاع الآجال كقوله **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾** لقمان / ٣٤ وقيل ما يحتمل وجوهاً (...) وقيل ما لا يستقل بنفسه ، الا برده الى غيره ، وقيل : غير ذلك ، وكلها متقارب " [١٧١] ومن هنا دخل التأويل الى هذا المعنى المتشابه لان المعاني اذا دقت تداخلت وتشابهت على من لا علم له بها ، والمعنى المتشابه في القرآن العزيز هو يشابه بعضه بعضاً في الحق والصدق ، والايجاز والبشارة والندارة ، وكل ما جاء به ، وانه من عند الله ، قدم سبحانه الذي يتبعون ما تشابه منه عليهم إفتناناً وتضليلاً ، فهم بذلك يتبعون ما تشابه عليهم تناصراً وتعاضداً للفتنة والإضلال [١٧٢] .

(٥) **المعنى المشترك :** عرفه الامدي بقوله " اذا كان الاسم واحداً والمسمى مختلفاً فهو المشترك كالجون يطلق على الأبيض والأسود ، وعسعس على إقبال الليل وإدباره " [١٧٣] كقوله تعالى **﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾** البقرة / ٢٢٨ نجد لفظة (القرء) مشتركة بين معنيين الطهر والحيض ، ومن هنا أتاها التأويل – مرة للقرء ومرة للحيض – وهما حكمان متضادان لا يجوز حملهما معاً .

وجمهور الشافعية وبعض المعتزلة يحملون المشترك على جميع معانيه اذا أمكن الجمع بينهما في حال عدم وجود قرينة كقوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاس ﴾** الحج / ١٨ معنى السجود هنا مشترك بين معنيين المعنى الاول وضع الجبهة على الارض في الصلاة مثلاً ، وهذا ما يفعله البشر وبين الخضوع التام والخشوع لله أزاء قدرته ، وهذا يشمل المخلوقات كلها ، ازاء ذلك لابد من ان نأخذ المعنيين في الاعتبار دون إهمال لاحدهما على حساب الآخر [١٧٤] وقد يكون المعنى المشترك نكرة في سياق الاثبات مطلقة كقوله تعالى **﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾** المجادلة / ٣ " فرقبة نكرة خاصة مطلقة ولا يعرف ان كان المقصود بها رقبة مؤمن ام يجوز تحرير رقبة الكافر " [١٧٥] بمعنى ان لفظة رقبة نستطيع ان نطلقها على أي شخص او فرد له هذه الرقبة او يمتلك هذه اللفظة وكل لفظ خاص لم يقيد بقيد لفظي يقلل شيوعه [١٧٦] لذا فان كلمة رقبة تحمل معنى مشتركاً او ما يمكن ان نسميه الاشتراك في المعنى الخاص بالتسمية " والواقع ان مثل هذا الاشتراك في المعنى ممكن القول بانه موجود او قائم في كل رمز " [١٧٧] .

(٦) **المعنى الخفي :** الخفي من أخفيته بمعنى كتمته وخفيته أظهرته فهو من الاضداد [١٧٨] ، وهو اللفظ الذي يستند معناه ويستعان على فهمه بغيره ، او قد يتعذر فهمه وكما كان ظهور المعنى في اللفظ على درجات كذلك خفاء المعنى في اللفظ على درجات [١٧٩] والمعنى الخفي ليس الخفاء في ذاته ، وانما خفي المراد منه بسبب غير لفظه ، كأن يكون اللفظ عاماً ولبعض أفراده أسماء خاصة فتقع الشبهة التي لا تزول الا بالاعتماد على شيء آخر فمثلاً في قوله تعالى **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾** المائدة / ٣٨ لفظ السارق ظاهر فيما وضع له من انه يدل على من يأخذ مال الغير خفية ، " والسارق في الشريعة من سرق من الحرز : والمقطع الرسغ ، وعند الخوارج : المنكب

والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة ، وعند مالك والشافعي رحمهما الله ربع دينار ، وعند الحسن درهم وفي مواعظه أحذر من قطع يدك في درهم " [١٨٠] ولكن هل ينطبق هذا المعنى على الطرّار (النشال) الذي يغافل الايقاظ وينشل مالهم في حضورهم ؟ فهذه سرقة وزيادة ، وكذلك هل يصدق لفظ السارق على النباش الذي يأخذ أكفان الموتى ؟ فهو أقل من السارق ، حتى معنى السرقة غير مكتمل فيه ، لانه يأخذ مالاً غير مملوك ولا مرغوب فيه . وبعد ملاحظة معنى السرقة في كليهما ، ألحقوا الطرار بالسارق ، واما النباش فيحتاج الى تأمل واجتهاد لبيان الحكم فيه وذلك من قبل الفقهاء " [١٨١] . فكل معنى خفي على البشر إدراكه يدخله التأويل .

(٧) **المعنى المجمل** : مشتق من " جمل الشيء بمعنى جمعه ، وأجمل الشيء جمعه عن تفرق " [١٨٢] وقد عرفه الغزالي اصطلاحاً بقوله " لفظ تردد بين معنيين فصاعداً من غير ترجيح لا بوضع اللغة ولا بعرف الاستعمال "[١٨٣] كقوله تعالى ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**﴾ التكوير / ١٧ قيل أقبل وأدبر وقوله تعالى ﴿**وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ**﴾ النساء / ١٢٧ قيل معناه " ترغبون في نكاحهن لما لهن ، وقيل معناه : عن نكاحهن لزمانهن وقلة ما لهن والكلام يحتمل الوجهين ، لان العرب تقول : رغبت عن الشيء اذا زهدت فيه ورغبت في الشيء اذا حرصت عليه ، فلما ركب الكلام تركيباً حذف معه حرف الجر احتمل التأويلين جميعاً"[١٨٤] دون ترجيح لاحدهما . وكأن المجمل من قبيل المشترك الذي يحتمل معنيين او أكثر ، والعقل يقف حائراً أمامه فلا يستطيع كشف خفائه ، وكذلك اللغة والاستعمال عاجزان عن بيان المراد منه " [١٨٥] .

(٨) **المعنى الغيبي** : حوى القرآن الكريم جملة من أخبار الغيب تجعل الاعجاز فيه اعجازاً مركباً ، ان كان خصومه عجزوا عن الاتيان بمثله مفرداً ، فهم عن الاتيان به مركباً أعجز . وعلم الغيب ليس لاحد ان يدرك منه شيئاً الا على سبيل التخمين لا على سبيل القطع والجزم ، أما ان يأتي كتاب يحمل أخباراً غيبية ويقطع بوقوعها ثم تقع كما أخبر ، فهذا من خصائص القرآن الكريم .

والمعنى الغيبي في القرآن يتعلق بأخبار ثلاثة ، بماضٍ ، او حاضر او مستقبل ، وهي أخبار كثيرة نذكر منها أمثلة للاثبات لا للاستقصاء – المعنى الغيبي الماضي . مثل الاخبار عن خلق السموات والارض ، وآدم ، وقصة إبليس ، وقصص الانبياء السابقين ،

والامم الماضية ، ووجه الغيب فيها ان الرسول (ﷺ) كان أمياً لا يعرف القراءة فلم يعهد عنه انه قرأ في كتاب أهل الكتاب ، او تلقى الدرس عند أحد منهم ، او خالطهم او مازجهم ولم يكن أحد من قومه يعلم شيئاً منها ونصوص القرآن توضح المعنى الغيبي الماضي .

فقد خاطب الله نبيه محمد (ﷺ) في سياق قصة نوح فقال سبحانه **﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾** هود / ٤٩ وفي قصة موسى (عليه السلام) **﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنْ الشَّاهِدِينَ(٤٤)وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ(٤٥)وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ ﴾** القصص ٤٤ – ٤٦ وفي قصة مريم (عليها السلام) **﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾** آل عمران – ٤٤ .

والاخبار عن الغيب الحاضر في سورة التوبة وردت آيات تبّين وتكشف حال المنافقين وما يخفونه بينهم او في صدورهم **﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾** البقرة / ٢٠٤ وقوله تعالى **﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾** التوبة/٧٤ . فقد وضح المعنى انهم يقولون ذلك لما شاهدوا من أخبار الغيب التي يجيء بها القرآن الكريم .

أما أخبار الغيب في المستقبل فهذا النوع آياته كثيرة منها ما تحقق وإنقطع ومنها ما تحقق ايضاً وما زال في كل يوم يتحقق . فمن النوع الاول قوله تعالى : **﴿الم(١)غُلِبَتْ الرُّومُ(٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾** الروم ١ – ٤ .

ومنها وعد الله تعالى رسوله بالدخول الى مكة **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾** الفتح / ٢٧ ثم وقع هذا الوعد . ومثله قوله تعالى مخاطباً نبيه محمد (ﷺ) **﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ ﴾** المائدة / ٦٧ فباءت محاولات قتله بالفشل .

أما النوع الثاني الذي تحقق ولا يزال يتحقق فهي الاخبار بعد ان وقع التحدي بالقرآن الكريم انهم لم يأتوا بمثله وانهم لم يفعلوا **﴿ قل لئن اجتمعت والجن على ان ياتوا بمثله هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾** الاسراء /٨٨ وقال

سبحانه ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ البقرة / ٢٣ – ٢٤ فالمعنى : تحدٍ مع اخبار مسبق بأنهم لن يفعلوا ما زال التحدي جارياً وما زال الخبر الغيبي متحققاً ومثل هذه الآية الآيات التي تحمل معنى البقاء والخلود وحفظ القرآن . كقوله تعالى ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ** ﴾ الرعد / ١٧ وقوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ابراهيم ٢٤ – ٢٥ وقوله ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾الحجر/ ٩[١٨٦].

وهناك معانٍ غيبية نتوصل الى معناها عن طريق التخمين كقصة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج في قوله تعالى ﴿**قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا** ﴾ الكهف / ٨٦ فالمعنى يدور حول ذي القرنين " فقد ذكر الازرقي وغيره ، انه كان في عصر موغل في القدم ، قال انه كان قريباً من عصر ابراهيم الخليل (عليه السلام) ، وانه طاف بالبيت مع ابراهيم أول ما بناه ، وآمن به ، واتبعه ، وانه قرب الى الله قرباناً ، واتخذ من الخضر (عليه السلام) وزيراً [١٨٧] وأما لماذا سمي بذي القرنين فتعددت المعاني حوله ، قالوا ان صفحتي رأسه كانتا من النحاس . ويبدو ان هذا لباس الحرب الذي هو أشبه بالخوذة وكان يرتديه دائماً ، وقال بعضهم : كان في رأسه شبه القرنين ، وقال بعض أهل الكتاب : انما سمي ذا القرنين لانه ملك الروم وفارس ، وقال غيرهم .. لانه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب ، ... وذكر بعضهم انه انما سمي ذا القرنين لانه بلغ مجده وملكه قرن الشمس مشرقها ومغربها يقول الله تعالى ﴿**وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ الكهف – ٨٤ ، قال ابن عباس علماً ، وقال قتادة: منازل الارض وأعلامها ، وقال عبد الرحمن بن زيد : تعليم الانس قال : كان لا يغزو قوماً إلا كلمهم بلسانهم ... وروى ان الذين ملكوا الارض أربعة : مؤمنان وكافران، أما المؤمنان : فسليمان وذو القرنين وأما الكافران ، فنمرود وبخْتنصر [١٨٨] وقد ذكر في أخبار بني اسرائيل انه عاش ألفا وستمائة سنة يجوب الارض طولها والعرض ، حتى بلغ المشارق والمغارب [١٨٩] وهذه كلها تأويلات لم تتوصل الى حقيقتها والحقيقة في علم

الغيب ويرتبط المعنى الغيبي بالمعنى الازلي لان سلطان الكلمة التي تقوم " بلفظ حامل ومعنى قائم ورباط ناظم " [١٩٠] ستكون هي نهاية الدنيا التي كانت بدايتها بنفخة إلهية **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ(١٣) وَحُمِلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾** الحاقة / ١٣-١٤ **﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ(٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾** النمل – ٨٧ – ٨٨ فهذه الآيات تحمل معنى أزلياً يرتبط بالمعنى الغيبي الذي لا يعرف عنه شيئاً وان كان بين العالمين تباين ، وعالم الغيب الذي لا نعلم عنه شيئاً سوى ما جاء في كلم تشهد عظمة الكلمة **﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾** المؤمنون / ١٠٠ فالكلمة هي القدر الازلي الذي لا نعلم بدايته ، والقدر الابدي الذي لا نعلم نهايته ، وما بينهما من مشاهد في مسرح عالم الشهادة ، شهادة على سلطان الكلمة الملفوظة والمسطورة بها " مناقلتهم في العلم ومحاورتهم وتدريبهم ومناظرتهم ، وبها تعطر في القراطيس اقلامهم . وبها تسطر : الصكوك والسجلات احكامهم " [١٩١] فيها يتحاكمون واليها يرجعون **﴿ ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ﴾** يس / ٢٩ وبين التأويل والازل تكثر التأويلات وتتعدد الدلالات .

(٩) المعنى الشرعي او التشريعي :

هناك أمور تشريعية يوضحها المعنى في النص القرآني ترد بأساليب مختلفة منها ما يكون المعنى التشريعي بأسلوب الامر أي " طلب الفعل على جهة الاستعلاء " [١٩٢] والامر اذا صدر او جاء في نص تشريعي فانما هو للوجوب الا اذا دلت القرينة على غير ذلك ، وقيل انه قد يستفاد به ، ويفهم منه الوجوب او الندب او الاباحة أي من قبيل المشترك " ويتوقف فهم المراد منه على القرائن " [١٩٣] وقد أورد الامدي ستة عشر وجهاً تستفاد من صبغ الامر منها قوله تعالى **﴿أَقِمْ الصَّلَاةَ ﴾** الاسراء / ٧٨ تأتي للوجوب وقوله تعالى **﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾** النور / ٣٣ قيل انها للندب ، وقوله تعالى **﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾** فصلت / ٤٠ تأتي للتهديد ، وقوله تعالى **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾** القصص / ١٦ تأتي للدعاء وقوله تعالى **﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ﴾** النساء / ١٥ تأتي للإرشاد ... الخ.

أو يأتي المعنى التشـــريعي بلفظة يأمركم أو بمادة الأمر في قوله تعالى ﴿ **إن الله يأمركم أن تردوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ النساء – ٥٨ أو مادة الكتابة ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ** ﴾ البقرة / ١٨٣ او بالإخبار ﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ** ﴾ المجادلة/٤[١٩٤] فلفظ شهرين مطلق قيد بـ (متتابعين) أي عند الصوم فلابد ان يكون الشهران متتابعين ولا يجوز صيامهما منقطعين " [١٩٥] ومن لوازم صيغة الامر الامتثال ووقوع الامر مرة واحدة ، ومن الاصوليين من اوجب التكرار فيه حين عدم وجود قرينة، ومنهم من نفى إقتضاءه للتكرار ، ومنهم توقف عن القبول بأحدهما [١٩٦] ويقابل الأمر (النهي) وهو " طلب ترك الفعل على جهة الاستعلاء ، وذلك لان الامر طلب الفعل ، فيقابله النهي بطلب الترك واما جهة الاستعلاء فعلى اعتبار ان الشارع أعلى من المكلف بالنهي واما صيغة النهي (لا تفعل) مضارع مسبوق بلا الناهية كقوله تعالى ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ** ﴾ الحجرات / ١٢ وجاء معنى النهي بأساليب متعددة في القرآن الكريم وان اتفق الجمهور على ان المعنى الذي أفاده النهي انما هو للتحريم ولا يصرفه في ذلك الا القرينة وقد حدد الامدي في أحكامه سبعة وجوه تفيدها صيغة النهي منها – التحريم كقوله تعالى ﴿**وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ** ﴾ البقرة / ٢٢١ والدعاء ﴿**رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ يونس / ٨٥ والتيئيس ﴿**لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ** ﴾ التحريم/٧، والإرشاد ﴿**لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ المائدة / ١٠١ والكراهة ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ** ﴾ المائدة / ٨٧ والتحقير ﴿**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ** ﴾ الحجر / ٨٨ ويأتي النهي باستعمال مادة التحريم ، او بنفي الحلال عن المنهي كقوله ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ** ﴾ النساء/٢٣ وقوله ﴿**وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا** ﴾ البقرة / ٢٢٩ او بلفظ النهي ﴿**وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ** ﴾ النحل/ ٩٠[١٩٧] .

وفي كل هذه الآيات يدخل التأويل " لان هناك من يقول ان الحقيقة الشرعية ليست مجازاً لغوياً يعرف فيه الاصطلاح الشرعي اذ ان المفردة الشرعية كانت ذات مدلول لغوي عند العرب ثم أقحم عليها الشرع من المعنى ما لم يكن لها فذلك لون من ألوان المجاز ، الا انه لما تنوسي المعنى الاصل واستعمل الناس المعنى المستجد صار ذلك المعنى الشرعي المستجد حقيقة بحكم الاستعمال فيه والاهمال في الاول [١٩٨] من هنا

جاء التأويل من الاشتراك بين المعنى الاصلي والمعنى المستجد كما حدث في ألفاظ الصلاة ، والدعاء ، والحج ...الخ .

(١٠) **المعنى الحالي أو الكيفي :** وهو من المعاني التي يدخلها التأويل لان في القرآن معاني عديدة تبين حال صاحبها او هيأته او تبين حال القوم وتوضح أوضاعهم وكيفية تعاملهم مع القرآن الكريم – وأكثر ما يكون هذا المعنى في القرآن عندما تبدأ الآية بكيف كما في قوله تعالى **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾** البقرة / ٢٨ .

كيف في الأصل سؤال عن الحال ويتضح ذلك في الجواب إذا قيل كيف رأيت زيداً . فتقول : مسروراً او مهموماً وما أشبه ذلك فتجيب بأحواله ، فكيف تنتظم جميع الأحوال ، " كما ان كم ينتظم جميع العدد ، وما ينتظم جميع الجنس ، وأين ينتظم جميع الأماكن ، ومن ينتظم جميع العقلاء " ومعناه في الآية التوبيخ وتقديره : أمتعلقين بحجة تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون . وقال الزجاج هو استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب انما هو للخلق او للمؤمنين ، أي أعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ، ومعنى وكنتم : (وقد كنتم) ، والواو واو الحال وإضمار قد جائز ، اذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى **﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾** النساء / ٩٠ أي قد حصرت صدورهم ، وهي جملة في موضع الحال ، وانما وجب إظهار قد في مثل هذا او تقديرها لان الماضي لا يكون حالاً وقد ، انما يكون لتقريب العهد ولتقريب الحال فبدخوله يصلح ان يكون الفعل الماضي حالاً (...). والذي قال في سورة البقرة / ٢٨ هو توبيخ ؛ قال : معناه ويحكم كيف تكفرون ... ومن قال هو تعجب ، قال : تقديره عجباً منكم على أي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسالته وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته ، ذكر بعض نعمه عليهم فقال : ((وكنتم أمواتاً فأحياكم)) أي وحالكم انكم كنتم أمواتاً ، وفيه وجوه أحدها :

انهم كانوا أمواتاً في أصلاب أبائهم يعني نطفاً فأحياهم الله ثم أماتهم الموتة التي لابد منها ثم أحياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان عن قتادة ، وثانيهما ان معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة عن ابن عباس ، وابن مسعود وثالثهما ان معناه

أمواتاً ، يعني خاملي الذكر فأحياكم بالظهور ثم يميتكم عندما تقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث والعرب تسمي كل إمرئ خامل ميتاً ، وكل إمرئ مشهور حياً ، كما قال ابو نخيلة السعدي :

فأحييت في ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر آتيه من بعض [١٩٩]

ورابعها ان معناه كنتم نطفاً في أصلاب ابائكم وبطون أمهاتكم والنطفة موات فأخرجكم الى الدار الدنيا أحياء [٢٠٠] .

(١١) **المعنى الاستعاري** :وهو المعنى المنقول من المعنى الأصل ، وذلك انه قد يستعار الشيء لمشابهة ، ثم يستعار من المشابه لمشابه المشابه ويتباعد عن المسمى الحقيقي بدرجات ، فيذهب عن الذهن الجهة المسوّغة لنقله من الأول إلى الآخر [٢٠١] مما يؤدي الى التأويل وطريق معرفة معناه بالتدريج كقوله تعالى ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ البقرة / ٢٣ أي تجاوزوا الله في دعائكم الى دعاء آلهتكم ، الذين تزعمون انهم يشهدون لكم يوم القيامة ، أي لا تستشهدوا بالله فانها حجة يركن اليها العاجز عن البينات من الناس بل إئتوا ببينة تكون حجة عند الحكام ، وهذا يؤذن بانه لم يبقَ لهم تشبث سوى قولهم : " الله يشهد لنا عليكم " هذا اذا جعلت " من دون الله " متعلقاً " بادعوا " فإن جعلته متعلقاً بـ " شهداءكم " احتمل معنيين : أحدهما ان يكون المعنى : ادعوا الذين تجاوزتم في زعمكم شهادة الله ، أي شهادتهم لكم يوم القيامة ، والثاني على ان يراد بشهدائكم آلهتكم ، أي ادعوا الذين تجاوزتم في اتخاذكم إلوهية الله الى ألوهيتهم [٢٠٢] ، فالمعنى الاستعاري يحتمل التأويل لان عبارة (من دون الله) تحتمل ان يكون التقدير ، أي من غير المؤمنين يشهدون لكم انكم آمنتم بمثله ، وفي هذا إرخاء عنان الاعتماد على ان فصحاءهم تأنف نفوسهم من مساجلة الحق الجلي بالباطل اللجلجي ، وتعليقه(بادعوا) على هذا جائز [٢٠٣] .

ويرتبط المعنى الاستعاري بالمعنى المجازي .

(١٢) **المعنى المجازي** : وهو ان تسند الكلمة الى غير ما هي له أصالةً بضرب من التأويل ففي قوله تعالى ﴿**وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا**﴾ البقرة / ٢٣٥ هذا من المعنى المجازي ، فان الوطء تجوّز عنه بالسر ، لانه لا يقع غالباً الا في السر وتجوز بالسر عن العقد ، لانه مسبب عنه فالصحيح للمجاز الاول الملازمة والثاني السببية والمعنى (لا تواعددهن عقد نكاح) [٢٠٤] وقوله تعالى ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا**﴾

الاعراف/٢٦ فان المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس ، بل الماء المنبت للزرع ، المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس . وفي قوله تعالى ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ الأنبياء / ١٠٤ ان إمكانيات المجاز هنا مدعاة للتأويل لما في التشبيه من تغريب في وظائف الصورة التي تدعو إلى تأمل فقد " اختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم هو اسم ملك من الملائكة ... وقال آخرون السجل ، رجل كان يكتب لرسول الله (ﷺ) [٢٠٥] وقيل : ان المراد بالسجل الكتاب [٢٠٦] فهذا المعنى المجازي يحتمل تأويلاً فضلاً عن طوي السماء يتضمن كناية عن قدرة الله عزّ وعلا وعلى هيمنته في يوم القيامة.

وفي نهاية البحث يمكن القول ان دراسة النص القرآني وفهمه من خلال المعنى والتأويل تعد اجتهاداً يضاف الى الاجتهادات التي وصلت إلينا من تراثنا الفكري ، علماً ان عملية فهم القرآن لم تكن حكراً على عصر من العصور فلكل عصر فهمه ودلالاته الخاصة به شرط الا تنافي السنة ولسان العرب ودراستنا للنص القرآني من خلال المعنى والتأويل ان نفهم القرآن سعياً لإتمام نور الله سبحانه وتعالى وبحثاً عن المعاني الكامنة في كلامه ، فالتأويل هو استنباط دلالة التراكيب القرآنية بما تضمنته من حذف وإضمار ، وتقديم وتأخير ، وكناية ، واستعار ، ومجاز ، فضلاً عن مجيء مدلولات التأويل بـ (فسر ، ورجع وصار اليه وصيّره ، وعبارة الرؤيا ، والتحري ، والطلب ، والجواز ، والتوجيه والحمل على المعنى ، وقيل وقال ، وأرى ...الخ) وقد تعددت المعاني التي تؤدي الى التأويل منها المشكل ، والمشترك ، والمحتمل ، والمجمل ، والخفي ...الخ .

ويمكن أن نقول ان معنى التأويل في النص القرآني معنى محتمل لا يقوم على البت والجزم ، وما قام في القرآن على اعتبارات عقلية وموازين عرفانية مستمدة من القرآن والسنة ولها شواهد سمعية ، فلا مجال في نسبتها الى التأويل ، ومن يقل بالتأويل لا يقل ان ما يذكره هذا دون سواه بل يسوقه على انه أحد الاحتمالات ووجهاً من الوجوه .

ان عملية التاويل حين تستدعيها دواع وأسباب موضوعية تخضع لشروط تتعلق باللفظ المؤول وبالمعنى المؤول إليه وبالقائم بعملية التأويل وهو في النهاية اشتغال مع الدال ولماذا كان وليس بالمدلول فهو لا يكتفي بفهم المعنى المباشر، وإنما يتطلع إلى فهم الفهم.

في القرآن الكريم افرد النص نفسه مساحة كبيرة للتأويل، لكن حتى لا ينقلب الكتاب العزيز إلى "شيفرة" مطبقة عصية على الفك والتحليل ترك مساحة أخرى للنصوص التي تدل بذاتها على المعاني، اما القطعية والواضحة واما المحتملة لتكون هذه النصوص في كلتا صيغتيها مرجعا في المعنى للآيات المتشابهات التي عالجناها وطرقنا أسباب تأويلها أول مرة.

الهوامش

(١) لسان العرب – ١١ / ٣٢ مادة اول/ وتفسيرالبحر المحيط – ٤ / ٣٠٦ .
(٢) السابق –١١ / ٣٢ .
(٣) اساس البلاغة – ٢٥ مادة آول .
(٤) البرهان للزركشي – ٢ / ١٤٨
(٥) ينظر تهذيب اللغة – ١٥ / ٤٥٨ .
(٦) المثل السائر – ٢ / ١٧٠ .
(٧) ينظر مفتاح السعادة – ٢ / ٥٧٣ .
(٨) ينظر البرهان للزركشي – ٢ / ١٦٦ .
(٩) ينظر التعريفات – ٣٤ .
(١٠) ينظر البرهان للزركشي – ٢ / ٣٦٦ .
(١١) ينظر اعلام الموقعين – ١ / ٢٣٢ واسهام الاصوليين – ٤٣٣ .
(١٢) صحيح البخاري– ٢/٣٠٠
(١٣) في ظلال القرآن – ٦ / ٣٩٧٦ . دار الشروق ، بيروت .
(١٤) السابق– ٢ / ٨٠٦ .
(١٥) الاقتراح – ٢٩ .
(١٦) مختصر الصواعق المرسلة – ١ / ١٢ .
(١٧) مقدمة الراغب الاصفهاني – ٥٨٦ – ٥٨٧ .
(١٨) ينظر دراسات في القرآن – ١١٠ .
(١٩) ينظر – روضة الناظر – ٢ / ٣٣ – ٣٤، والاحكام في اصول الاحكام – ٣ /٥٠، واصول التفسير وقواعده – ٥٨ ، و اسهام الاصوليين – ٣٣٦ .
(٢٠) كتاب العين – ٨ / ٣٦٩ مادة اول .
(٢١) تفسير غريب القرآن – ١٦٨ .
(٢٢) ينظر لسان العرب – ١١ / ٣٣ مادة (أول) .
(٢٣) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ٤ / ١٥ – ١٦ .
(٢٤) منهاج السنة النبوية ونقض كلام الشيعة والقدرية – ١ / ٥ .
(٢٥) ينظر اللسانيات والدلالة (الكلمة) – ١٠٤ .

(٢٦) مجمع البيان في تفسير القرآن – ٤ / ٣٧١ .
(٢٧) تفسيرالبحر المحيط – ٤ / ٦٤٢ .
(٢٨) اللسانيات والدلالة – ١٠٤ ، وينظر إشكاليات القراءة وآليات التاويل–١٢.
(٢٩) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني – ٧٤ .
(٣٠) روح المعاني – ٧ / ٢٤١ .
(٣١) اللسانيات والدلالة – ١٠٥ .
(٣٢) الاتقان في علوم القرآن – ٤ / ١٦٧ .
(٣٣) البرهان – ٢ / ١٤٩ .
(٣٤) كتاب المفردات في غريب القرآن – ٨٠ .
(*) التفسير للصحابة (ﷺ) والتأويل للفقهاء .
(٣٥) إسهام الأصوليين – ٤٣٣ .
(٣٦) جامع البيان – ١٤٥/٨ .
(٣٧) ينظر التفسير الكبير – ٩١/١٨ .
(٣٨) صناعة المعنى وتأويل النص–١٤٣ .
(٣٩) لسان العرب–١٤٢/٢ مادة شرح، وينظر الصحاح–٢٠٠/١ .
(٤٠) لسان العرب–١٤/٢ .
(٤١) الخطاب والتاويل–١١٢ .
(٤٢) التفسير العقلي للقرآن–١٦٤
(٤٣) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني–١٦ .
(*) نحو ان يقال : الصياغة أشرف من الدباغة لان موضوعها هو الذهب والفضة أشرف من جلد الميتة ، الذي هو موضوع الدباغة .
(**) طبع السيوف أشرف من طبع النقود .
(***) كصناعة الطب التي غرضها إفادة الصحة .
(٤٤) البرهان ٢ / ٥٥ .
(٤٥) السابق – ٢ / ٥٥ .
(٤٦) البرهان – ٢ / ٥٥ وينظر : دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني – ٣٣.
(٤٧) البرهان – ٢ / ٥٥ .
(٤٨) دراسات في التفسير الموضوعي – ٣٤ ، وينظر تفسير النصوص في الفقه الاسلامي–١٢٨.
(٤٩) الاتقان – ٢ / ١٧٨ .
(٥٠) البرهان – ٢ / ٥٧ .
(*) هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الادريسي أستاذ الطائفة الشاذلية من صوفية الاسكندرية توفى بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦ ينظر : البرهان ٢ / ٥٧ .
(٥١) الاتقان في علوم القرآن – ٢ / ١٧٧ .
(٥٢) جامع البيان – ٥ / ١٧٤ .
(٥٣) الكتاب والقرآن – ٤٢، وينظر الاسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني–١٨٠.
(٥٤) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – ٧١٦ .

(٥٥) أسباب النزول للواحدي – ٢٢٩ .
(٥٦) ينظر البرهان – ٢ / ٥٨ .
(٥٧) ينظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير – ٥ / ٤٢٠ .
(٥٨) معالم التنزيل – ٤ / ٤٧٤ .وينظر : روح المعاني – ٣٠ / ١٠٠ والجامع لاحكام القرآن للقرطبي –٢٠ / ١١ .
(٥٩) ينظر مجمع البيان ، الطبرسي –١ / ٣٠ .
(٦٠) أمالي المرتضى – ١ / ٩٥ .
(٦١) إعراب القرآن – ٣ / ٦٤٣ – ٦٤٤ .
(٦٢) الكتاب والقرآن – ٢٦٩، وينظر بنية العقل العربي–١٧ .
(٦٣) تيسير الكريم الرحمن – ٣٠٤ .
(٦٤) المصدر السابق – ٣٠٤ .
(٦٥) ينظر : فتح القدير – ٥ / ٣٣٥ .
(٦٦) الجامع لاحكام القرآن – ١٧ / ٢٢٤ ، وينظر تفسير البيضاوي–٥/١٣٠.
(*) لان القراءة القرآنية لها – لأقسم .
(٦٧) روح المعاني – ٢٧ / ١٥٤ .
(٦٨) التبيان في أقسام القرآن – ١٤٣ .
(٦٩) ينظر فتح القدير – ٥ / ١٦٠ .
(٧٠) روح المعاني – ٢٧ / ١٦٢ .
(٧١) ينظر درة التنزيل – ٥٤ – ٥٥ .
(٧٢) ينظر ملاك التأويل – ١ / ٢٨٨ .
(٧٣) التعريفات للجرجاني – ٧ .
(٧٤) معاني القرآن للفراء – ٣ / ١٠٨ .
(٧٥) مجمع البيان – ٣ / ١٨٠ وينظر كتاب سيبويه – ١ / ١٨٣ .
(٧٦) مجمع البيان – ٣ / ١٨٠ .
(٧٧) السابق – ٣ / ١٨٠ .
(٧٨) الجامع لاحكام القرآن – ٦ / ١٣ .
(٧٩) جامع البيان – الطبري – ٦ / ٢٦ .
(٨٠) إعراب القرآن للنحاس – ٢ / ٢٩٥ .
(٨١) ينظر الدر المصون – ١٣٠٢ .
(٨٢) مغني اللبيب – ١ / ٣١١.
(٨٣) ينظر التبيان في إعراب القرآن – ٢ / ١٦٠ .
(٨٤) ينظر تفسيرالبحر المحيط – ٨ / ٧٣ .
(٨٥) ينظر همع الهوامع – ٣ / ١٢٣.
(٨٦) مجمع البيان – ١ / ٧٤ .
(٨٧) معاني القرآن – الاخفش – ٧٧ .
(٨٨) معاني القرآن وإعرابه – ١ / ١٢٦ .

(*) وهي آية خلافية فيما يتصل بقضية خلق الافعال بين المعتزلة والاشاعرة – ينظر الاتجاه العقلي في التفسير : دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة–٧٥ .
(٨٩) مجمع البيان في تفسير القرآن – ١ / ٧٤ .
(٩٠) الكتاب – ١ / ٨٠–٨١ .
(٩١) ينظر – تفسير المنار – ٥ / ٤٦ ، والتبصرة في القراءات : ١٨٢ والحجة في القراءات السبع – ٦١ .
(*) يعني تأخير الاسم .
(٩٢) ينظر الكتاب – ١ / ٨٢ .
(٩٣) إعراب القرآن للنحاس – ٤ / ٣٦ .
(٩٤) مجمع البيان – ٩ / ٦ .
(٩٥) ينظر نحو المعاني – ٣٨ .
(٩٦) النحو وكتب التفسير – ٢ / ١٠٣١ .
(٩٧) ينظر مجمع البيان – ١ / ٩٦ ، وينظر كتاب السبعة في القراءات –١٧٠ ، والحجة للقراء السبعة – ١ / ٣٧٩ .
(٩٨) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – ١ / ١٠٦ .
(٩٩) تفسيرالبحر المحيط – ١٨ / ٢١٦ .
(١٠٠) ينظر ديوان ذي الرمة – ٢٦٧ واللمع – ١٩٣ وهمع الهوامع – ١ / ١٢٧ .
(١٠١) ديوان عمر – ٢٢٦ ، وشرح أبيات سيبويه – ٥٧٢ ومغني اللبيب – ١ / ١٢ .
(١٠٢) ينظر مجمع البيان الطبرسي – ١ / ٥٧–٥٨، وينظر دلائل الاعجاز–٢٠٧ .
(١٠٣) الجامع لأحكام القرآن – ٦ / ٩١ .
(١٠٤) البرهان – ٢ / ٥٢– ٥٣ .
(١٠٥) السابق – ٢ / ٦١ .
(١٠٦) السابق – ٢ / ٥٩، وينظر التأويل النحوي في القرآن–١٠٨/١ .
(١٠٧) البرهان – ٢ / ٦٠ .
(١٠٨) الجامع لأحكام القرآن – ١٧ / ٢٢٧ .
(١٠٩) ينظر التفسير والمفسرون– ٢٢٠/٢ .
(١١٠) متشابه القرآن – ١ / ٢٥١
(١١١) الشامل – ٥٥٣
(١١٢) ينظر قواعد العقائد – ٧٣
(١١٣) التفسير الكبير – ٢٢ / ٨
(١١٤) الأسماء والصفات– ١٤٦/١.
(١١٥) الميزان في تفسير القرآن – ٣ / ٤٩ .
(١١٦) السابق – ٨ / ١٦٠ .
(١١٧) السابق – ١ / ١٥٥ .
(١١٨) السابق – ١٧ / ٣٢٦ .
(١١٩) السابق – ٢ / ٣٥٨ .
(١٢٠) المثل السائر – ١ / ٦٣ .

(١٢١) تفسيرالبحر المحيط – ٢ / ٣٦٦ وينظر الكشاف – ١ / ٣٦٦ .
(١٢٢) تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية – ٣٧ .
(١٢٣) المثل السائر – ٢ / ٢٤١ .
(١٢٤) جامع البيان عن آي تأويل القرآن – ٦ / ٤١٠ .
(١٢٥) مدخل إلى دراسة الصرف العربي في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة – ٩٥
(١٢٦) ينظر بلاغة الكلمة : ٤٤ – ٤٥، وينظر فلسفة التاويل–١٢٥ .
(١٢٧) تفسيرالبحر المحيط – ٧ / ٣٤٠ .
(١٢٨) مفتاح العلوم – ٩٠ .
(١٢٩) ينظر اللغات في القرآن – ٣٧ رواية ابن حنون المقرىء عن ابن عباس .
(١٣٠) جامع البيان في تأويل آي القرآن – ١٨ / ١٤٢ .
(١٣١) الجامع لاحكام القرآن – ١٣ / ١١ .
(١٣٢) السابق – ١٣ / ١١ .
(١٣٣) معاني القرآن للفراء – ١ / ٢٦٤ .
(١٣٤) تفسيرالبحر المحيط – ٦ / ٤٨٩ .
(١٣٥) مجمع البيان – ١ / ١٩٢ .
(١٣٦) ينظر السابق – ٢ / ٣٤٢ .
(١٣٧) ينظر السابق – ١ / ١٢٢ – ١٢٣ .
(*) مثل جامع البيان للطبري ، ت ٣١٠ م .
(**) مثل مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ، ت ٦٠٦ هـ .
(***) مثل أحكام القرآن لابي بكر الجصاص ، ت ٣٧٠ هـ ولابي بكر ابن العربي ، ت ٥٤٣ هـ والجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، ت ٦٧١ هـ .
(****) مثل تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ت ٧٤٦ هـ .
(*****) مثل مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي ، ت ٣٥٨ هـ .
(******) مثل تفسير القرآن الكريم لسهل التشتري ، ت ٢٨٣ هـ .
(*******) مثل تفسير الكشاف للزمخشري ، ت ٥٢٨ هـ .
(********) مثل التفسير والمفسرون للذهبي والمعجزة الكبرى للشيخ محمد ابو زهرة .
(١٣٨) ينظر : قصة التفسير – ٤ .
(١٣٩) سنن الترمذي – أبواب تفسير القرآن – باب الذي يفسر القرآن برأيه١/١٢٠ .
(١٤٠) التفسير والمفسرون – ١ / ٢٦٥ .
(١٤١) ينظر : البرهان ٢– / ١٧٥ – ١٧٦ .
(*) نقله القرطبي في تفسيره– ١٨٣/١٤ من حديث ام سلمة.
(١٤٢) الجامع لأحكام القرآن – ١٤ / ١٨٣ وينظر البرهان – ٢ / ١٩٧ .
(١٤٣) مفهوم المعنى – ١٥ .
(*) ينظر مفهوم المعنى – ١٥ ، لان المعنى والدلالة مترادفان حينما يكون المعنى مقصوراً على الألفاظ المفردة ، وينظر الدلالة السياقية عند اللغويين .
(١٤٤) التعريفات–١٢٨ .
(١٤٥) الموافقات في اصول الاحكام – ٢ / ٥٧ .

(١٤٦) اسهام الاصوليين في دراسة صلة اللفظ بالمعنى : ٤٢٢ – ٤٤٧ .
(١٤٧) ينظر المستصفى – ١ / ١٦٨ وكشاف اصطلاحات الفنون – ٢ / ٢٨٩ .
(١٤٨) ينظر اعلام الموقعين – ٣ / ٧٥ .
(١٤٩) ينظر المستصفى من علم الاصول – ١ / ١٢ .
(١٥٠) ينظر التفسير الكبير – ١ / ١٣ .
(١٥١) ينظر فهم القرآن ودراسته في ضوءالمنهج السلوكي – ١٠٦.
(١٥٢) اللسانيات والدلالة–٣٠ .
(١٥٣) لسان العرب–٤٢٨/١٢ مادة عم .
(١٥٤) المستصفى – ٢ / ٣٢ .
(١٥٥) اصول التشريع الاسلامي – ١٨٦ .
(١٥٦) ينظر : البرهان – ٢ / ٤٩٤ – ٤٩٥ .
(١٥٧) الرسالة – ٥٢
(١٥٨) دقائق التفسير – ١ / ٥٠ .
(١٥٩) ينظر البرهان – ٢ / ٢٠٤ .
(١٦٠) السابق – ٢ / ٢٠٥ .
(١٦١) السابق – ٢ / ٢٠٥ .
* ينظر لسان العرب: مادة شكل
** كشاف اصطلاحات الفنون: ٣٥٩/١.
(١٦٢) ينظر الكشاف – ٣ / ٢٢٠ .
(١٦٣) السابق – ٢ / ٢٠٦ .
(١٦٤) البرهان – ٢ /٢٠٧– ٢٠٨ .
(١٦٥) النبأ العظيم – ٢٠
(١٦٦) البرهان – ٢ / ٤٧٨ .
(١٦٧) الكشاف – ١ / ١٩٦ – ١٩٧ .
(١٦٨) البرهان – ٢ / ٢٨١ .
(١٦٩) لسان العرب –٢٠٢/١٣ مادة شبه، وينظر تاج العروس ١٠٤/٧ .
(١٧٠) ينظر الدلالة اللغوية عند العرب – ٥٠ .
(١٧١) البرهان – ٢ / ٦٩ – ٧٠ .
(١٧٢) البرهان – ٢ / ٧٠ – ٧١ .
(١٧٣) الاحكام في اصول الاحكام – ١ / ٢٣ .
(١٧٤) ينظر الدلالة اللغوية عند العرب – / ٣٩ – ٤٠ .
(١٧٥) السابق – ٢٧ .
(١٧٦) اصول التشريع الاسلامي – ١٧٧ .
(١٧٧) مفهوم المعنى – ١٣٩ .
(١٧٨)لسان العرب –٢٠١/١ مادة خفى.
(١٧٩) الدلالة اللغوية عند العرب – ٤٨ .
(١٨٠) الكشاف – ١ / ٦٣٢ .

(١٨١) الدلالة اللغوية عند العرب – ٤٨ .
(١٨٢) لسان العرب –١٠٨/١١ مادة جمل.
(١٨٣) المستصفى – ١ / ٣٤٥ .
(١٨٤) البرهان – ٢ / ٢١٠ .
(١٨٥) الدلالة اللغوية – ٤٩ .
(١٨٦) ينظر التبيان في أحكام القرآن –١٥/١ .
(١٨٧) تفسير القرآن العظيم– ٣ / ١٠٠ .
(١٨٨) تفسيرالبحر المحيط – ٦ / ١٥٧ ودراسات في التفسير الموضوعي :٢٢٢ – ٢٢٣
(١٨٩) تفسير القرآن العظيم–١٠٢/٣ .
(١٩٠) بيان اعجاز القرآن للخطابي ١٩٠ في ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن .
(١٩١) المفصل – ١ / ٩ .
(١٩٢) الاحكام في اصول الاحكام– ٢ / ٢٠٤ .
(١٩٣) اصول التشريع الاسلامي – ٢٩ / ١٦٥ والدلالة اللغوية–٤٩ .
(١٩٤) الاحكام في اصول الاحكام – ٢ / ٢٠٧ .
(١٩٥) اصول التشريع الاسلامي – ١٧٧ .
(١٩٦) ينظر الاحكام في اصول الاحكام – ٢ / ٢٢٥ .
(١٩٧) ينظر السابق – ٢ / ٢٧٥ .
(١٩٨) نهاية السول بشرح مناهج الاصول – ٢ / ١٤٥ .
(١٩٩) لسان العرب – ١٣ / ٥٥١ – مادة نوه ويروى ونوهت ما ذكري وما كان خاملاً
(٢٠٠) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن – ١ / ١٠٠ – ١٠١ .
(٢٠١) ينظر البرهان – ٢ / ٢٠١ .
(٢٠٢) ينظر السابق – ٢ / ٢٠١ .
(٢٠٣) ينظر السابق – ٢ / ٢٠٢ .
(٢٠٤) الكشاف – ٤٨٠/١ .
(٢٠٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ١٧ / ٧٨ .
(٢٠٦) تفسير القرآن العظيم– ٣ / ٢٠٠ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١– الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة)– د. نصر حامد ابو زيد– بيروت– لبنان– ط١–١٩٨٠م.
٢ – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ت ٩١١ هـ ، تح محمد ابو الفضل إبراهيم المكتبة المصرية . بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
٣ – الأحكام في أصول الأحكام للآمدي – ت ٦٣١ هـ ، مصر، مطبعة المعارف ١٩٤١م .
٤ – اساس البلاغة للزمخشري ت ٥٣٨ هـ دار أحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ط١ ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

٥ – أسباب النزول للواحدي – القاهرة– د.ت.
٦ – الأسماء والصفات لابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، مطبوع ضمن مجموعة الفتاوي ، الجزء الخامس والسادس .
٧ – الاسلوبية في دراسات الاعجاز القرني حت القرن السادس الهجري– د. عواطف كنوش المصطى– اطروحة دكتوراه– جامعة البصرة– ١٩٩٥م.
٨ – إسهام الأصوليين في دراسة صلة اللفظ بالمعنى الأستاذ مصطفى بنحمزة مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية ١٩٨٨ .
٩ – إشكاليات القراءة وآليات التأويل د . نصر حامد أبو زيد / المركز الثقافي العربي ط١ ، ١٩٩٦ .
١٠– أصول التفسير وقواعده– الشيخ خالد عبد الرحمن العك– دار النفائس– بيروت– ط٢– ١٩٨٦م.
١١ – أصول التشريع الإسلامي – علي حسب الله – دار المعارف بمصر ط٢ ، ١٩٥٩ .
١٢ – أعراب القرآن ، للنحاس ت (٣٣٨ هـ) تح زهير غازي زاهد ، عالم الكتب – بيروت / مكتبة النهضة العربية ط٢ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
١٣ – أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ، تح ، محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية – مصر ط ١ ، ١٩٥٥ م .
١٤ – الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ت ٩١١ هـ ، تح ، د . احمد محمد قاسم ، دار السعادة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م .
١٥ – امالي المرتضى . علي بن الحسين ، ت ٤٣٦ هـ ، تح ، محمد ابو الفضل ابراهيم / دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .
١٦ – البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ٧٩٤ هـ ، تح ابو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٩١ هـ .
١٧ – بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د . فاضل صالح السامرائي – دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٠ .
١٨ – بنية العقل العربي . محمد عابد الجابري – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .
١٩– بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)– للخطابي–تح د. محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام– دار المعارف بمصر–ط٣–.١٩٦٨
٢٠ – تاج العروس من جواهر القاموس – للزبيدي ت ١٢٠٥ هـ ، مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – د. ت .
٢١ – تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية (ابن عربي) أمين يوسف عوده ، رابطة الكتاب الأردنيين / دار ازمنة للنشر والتوزيع ط ١ ، ١٩٩٥ م .
٢٢ – التأويل النحوي في القرآن ، د . عبد الفتاح احمد الحموز – مكتبة الرشيد ، الرياض ط ١ – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
٢٣– التبصرة في القراءات– أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي– تح د. محي الدين رمضان– الكويت– ط١– ١٩٨٥م.
٢٤ – التبيان في تفسير القرآن للطوسي ، ت ٤٦٠ هـ ، تح احمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .

٢٥ – التبيان في اعراب القرآن للعكبري ت ٦١٦ هـ ، تح محمد علي البجاوي – دار احياء الكتب العربية (د . ت) .
٢٦ – التبيان في اقسام القرآن ، ابن القيم ، ت ٧٥١ هـ ، دار الطباعة المحمدية ، ١٣٨٨ هـ .
٢٧ – التعريفات للجرجاني ، ت ٨١٦ هـ ، تح ، ابراهيم الانباري – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط ١ ، ١٤٠٥ م .
٢٨ – تفسير البحر المحيط لابي حيان الاندلسي الغرناطي – ت ٧٥٤ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ .
٢٩ – تفسير البيضاوي المسمى (انوار التنزيل واسرار التاويل) ، للبيضاوي ، ت ٧٩١ هـ – تح عبد القادر عرفات – دار الفكر – بيروت – ١٤١٦ – ١٩٩٦ .
٣٠ – التفسير العقلي للقرآن (دراسة في تأويل القرآن عند المعتزلة) د . نصر حامد ابو زيد – المركز الثقافي العربي – بيروت – ط١ – ١٩٩٦ م .
٣١- تفسير غريب القرآن- ابن قتيبة- تح السيد احمد صقر- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٧٨م.
٣٢ – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير الدمشقي ، ت ٧٧٤ هـ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان – ١٤٠١ هـ .
٣٣ – التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للرازي – ٦٠٦ هـ – مصر – د . ت .
٣٤ – تفسير المنار – محمد رشيد رضا – دار المعرفة ٠ بيروت – ط ٢ .
٣٥ – تفسير النصوص في الفقه الاسلامي ، د . محمد اديب صالح – المكتب الاسلامي – ط ١ ، د . ت .
٣٦ – التفسير والمفسرون ، للشيخ محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م .
٣٧ – تهذيب اللغة للازهري ، ت ٣٧٠ هـ – تح عبد السلام هارون- راجعه محمد علي النجار – القاهرة ١٩٦٤ – ١٩٦٧ .
٣٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦ه – جمعية احياء التراث الاسلامي- ٢٠٠٣م.
٣٩ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ، ت ٣١٠ هـ ، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار – دار الفكر للطباعة – بيروت – لبنان – ١٤٠٥ م .
٤٠ – الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي ، ت ٦٧١ هـ ، تح احمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب – القاهرة – ط ٢ ، ١٣٧٢ هـ .
٤١ – الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، للثعالبي عبد الرحمن ت ٨٧٥ هـ – الجزائر / ط ١ ، ١٩٥٠ م .
٤٢ – الحجة في القراءات السبع – ابن خالويه ، تح احمد فريد المزيدي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٩١ .
٤٣ – الحجة للقراء السبعة ، ابو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي ، ت ٣٧٧ هـ ، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ١ – ٢٠٠١ م .

٤٤ – الخطاب والتأويل ، د . نصر حامد ابو زيد ، الناشر المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
٤٥ – دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، د . احمد جمال العمري ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ .
٤٦– دراسات في القرآن – د. السيد احمد خليل – دار المعارف– مصر– ١٩٧٢م.
٤٧ – درة التنزيل وعزة التأويل ، للاسكافي ، ت ٤٢١ هـ ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٦هـ .
٤٨ – الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي ، احمد بن يوسف ، ت ٧٥٦ هـ ، تح ، احمد محمد الخراط ، دار العلم ، دمشق ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
٤٩– دقائق التفسير (الجامع لتفسير ابن تيمية)– ابن تيمية– جمع وتحقيق د. محمد السيد الجليند– القاهرة– ط١– ١٩٧٨م.
٥٠ – دلائل الاعجاز – عبد القاهر الجرجاني ، ت ٤٧١ هـ ، تح ، محمود محمد شاكر ، ط ٣ – القاهرة – ١٩٨٩ م .
٥١ – الدلالة السياقية عند اللغويين– عواطف كنوش المصطفى التميمي– رسالة ماجستير – جامعة البصرة– كلية الاداب – ١٩٩١ م .
٥٢ – الدلالة اللغوية عند العرب– د . عبد الكريم مجاهد– دار الضياء للنشر والتوزيع– بيروت – مطبعة النور النموذجية – ١٩٨٥ م .
٥٣ – ديوان ذي الرمة– تح كارليل محزي هيس– مطبعة كلية كمبردج– ١٣٢٧ هـ– ١٩١٩م .
٥٤ – ديوان عمر بن ابي ربيعة ، دار صادر – بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٩ – ١٩٩٨ م .
٥٥ – الرسالة – للشافعي محمد بن ادريس ت (٢٠٤ هـ) ، تح احمد محمد شاكر ، مطبعة الباب الحلبي – مصر ، ط ١ ، ١٣٥٨ هـ – ١٩٤٠ م .
٥٦ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للالوسي ، ت ١٢٧٠ هـ ، دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان – د . ت .
٥٧ – روضة الناظر – ابن قدامة ، عبد الرحمن بن محمد ، ت ٦٨٢ هـ ، مطبوع مع ترجمة الفاطر الخاطر .
٥٨ – سنن الترمذي – للترمذي (الجامع الصحيح) محمد بن عيسى ، ت ٢٧٩ هـ ، تح عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ، ١٤٠٢هـ .
٥٩ – الشامل في اصول الدين – الجويني – تح علي سامي النشار – نشأة المعارف– الاسكندرية .
٦٠ – شرح ابيات سيبويه .
٦١ – الصحاح للجوهري . اسماعيل بن حماد ، ت ٣٩٣ هـ ، تح ، احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم لملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
٦٢ – صحيح البخاري– للبخاري،ت ٢٥٦ هـ،دار الفكر– بيروت– لبنان،١٤٠١ هـ– ١٩٨١م.
٦٣ – صناعة المعنى وتأويل النص– جامعة تونس – كلية الاداب– اعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية من ٢٤ – ٢٧ اربيل ، ١٩٩١ .
٦٤ – الطراز (المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز) للعلوي ، ت ٧٤٥ هـ ، تح سيد علي المرصفي ، القاهرة ، ١٩١٤ م .

٦٥ – فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) للشوكاني ، ت ١٢٥٠ هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥١ هـ .
٦٦ – فلسفة التأويل (دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي) نصر حامد ابو زيد – بيروت – دار التنوير .
٦٧ – فهم القرآن ودراسته في ضوء المنهج السلوكي– جواد علي كسار–ط١– ١٣٨٢ه.
٦٨ – في ظلال القرآن– سيد قطب ، دار الشروق ، ط ١٠ – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
٦٩ – قصة التفسير ، احمد الشرباصي – بيروت – دار الجبل ، ١٣٧٨ هـ .
٧٠– قواعد العقائد (من إحياء علوم الدين)– للغزالي ت ٥٠٥ ه – د. رضوان السيد– دار اقرأ– بيروت– ط٢– ١٩٨٥ م.
٧١ – كتاب سيبويه، ت ١٨٠ هـ ، تح عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ .
٧٢ – كتاب السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، ت ٣٢٤ هـ ، تح د . شوقي ضيف ، دار المعارف – القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ .
٧٣ – كتاب العين ، للخليل بن احمد الفراهيدي ، ت ، ١٧٥ هـ ، تح عبد الله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد – ١٣٨٦ هـ – ١٩٧٦ م .
٧٤ – كتاب المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني ، ت ٥٠٢ هـ ، تح حمد سيد الكيلاني ، مطبعة ، مصطفى الحلبي ١٣٨١ هـ .
٧٥– الكتاب والقرآن (قراءة معاصرة)– محمد شحرور– دمشق– ط٧– ١٩٩٧م.
٧٦ – كشاف اصطلاحات الفنون للتهاوني محمد علي الفاروقي ت في القرن الثاني عشر للهجرة – تح د . لطفي عبد البديع – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٦٣ م .
٧٧ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري ، ت ٥٣٨ هـ (رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين احمد) ط ٢ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م .
٧٨ – كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، ت ١٦٧ هـ ، دار احياء التراث العربي ، د . ت .
٧٩– لسان العرب ، ابن منظور ، ت ٧١١ هـ ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، ١٣٠٠ هـ .
٨٠ – اللسانيات والدلالة(الكلمة) ، د . منذر عياشي ، الناشر مركز الاتحاد الحضاري ، حلب ، ط ١ ، ١٩٩٦ .
٨١ – اللمع في العربية لابن حني، ت ٣٩٢ هـ ، تح د. حسين محمد شرف، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
٨٢– متشابه القرآن – للقاضي عبد الجبار ت ٤١٥ ه– تح عدنان محمد زرزور– دار التراث– القاهرة– ١٩٦٩م.
٨٣ – المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابن الاثير ، ت ٦٣٧ هـ ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٩٩٣ م .
٨٤ – مجاز القرآن ، لابي عبيدة ، ت ٢٠٨ هـ ، تعليق د . محمد فؤاد شركيس ، الناشر محمد سامي امين الكتبي – مصر – ط ١ ، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٤ م .
٨٥ – مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، ت ٥٤٨ هـ ، وضع حواشيه وخرج ابياته وشواهده ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٨٦ – مختصر الصواعق المرسلة ، ابن قيم الجوزية ، اختصره محمد بن الموصلي ، تصحيح زكريا علي يوسف – مكتبة المتنبي ، القاهرة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨١ م .
٨٧ – المستصفى من علم الاصول– للغزالي، ت٥٠٥ هـ،المطبعة الاميرية،بولاق، ط١ ، د.ت .
٨٨– معالم التنزيل– البغوي (الحسين بن مسعود) ت ٥١٠ه–مطبوع بهامش لباب التاويل.
٨٩ – معاني القرآن للاخفش ، ت ٢١٥ هـ ، علق عليه ووضع حواشيه ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط ١ ، د . ت .
٩٠ – معاني القرآن للفراء ، ت ٢٠٧ هـ ، تح ، احمد يوسف نجاشي ومحمد علي النجار ، دار الكتب المصرية – بالقاهرة ، ط ٢ ، د . ت .
٩١ – معاني القرآن واعرابه ، للزجاج ، ت ٣١١ هـ ، تح د . عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة .
٩٢ – مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الانصاري ، ت ٧٦١ هـ ، تح مازن المبارك ومحمد علي رحمه ، مراجعة سعد الافغاني – دار الفكر – بيروت – لبنان ، ط ٥ ، ١٩٧٩ م .
٩٣ – مفتاح السعادة ومصباح السيادة – طاش كبرى زادة ت ٩٦٨ هـ – دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٠٤٥ هـ – ١٩٨٥ م .
٩٤– مفتاح العلوم– للسكاكي– دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت.
٩٥ – مفهوم المعنى (دراسة تحليلية)– د. عزمي إسلام– حوليات كلية الآداب– جامعة الكويت– الحولية السادسة– الرسالة الحادية والثلاثون–١٩٨٥م .
٩٦ – مقدمة الراغب الاصفهاني – ملحقة بكتاب المفردات في غريب القرآن ، طبعة كراتشي– ١٩٦١ .
٩٧ – ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في أي التنزيل للامام محمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي ، تح سعيد الفلاح ، دار العربي الاسلامي ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
٩٨ – منهاج السنة النبوية في نقيض كلام الشيعة والقدرية –ابن تيمية– تح محمد رشاد سالم– ط١– ١٩٨٦.
٩٩ – الموافقات في اصول الاحكام ، للشاطبي الغرناطي تعليق محمد الخضر حسين ، تصحيح محمد منير – المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١ هـ .
١٠٠– الميزان في تفسير القرآن – للطباطبائي– منشورات مؤسسة الاعلمي –بيروت– ط٢– ١٩٧١ –١٩٧٤م.
١٠١– النبأ العظيم– د. محمد عبد الله دراز– دار القلم– الكويت– ط٤– ١٩٧٧م.
١٠٢ – نحو المعاني د. احمد عبد الستار الجواري – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٩ م .
١٠٣ – النحو وكتب التفسير– د. ابراهيم عبد الله رفيد– الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلام– ط٣– ١٩٩٠. .
١٠٤ – نهاية السول من شرح مناهج اصول عبد الله البيضاوي– لعبد الرحيم الاسنوي– عالم الكتب – ط ١ – د . ت .
١٠٥ – همع الهوامع – للسيوطي ، ت ٩١١ هـ ، تح احمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ١ ، ١٩٩٨ م .